حرف الفاء

٨٨ ـ فارس بن الحسَن بن مَنْصُور
أبو الهَيْجاء بن البَلْخيُّ النَّبْهاني

حدث عن القاضي أبي الحسن عبد العزيز بن محمد بسنده إلى بُرَيدةَ الأسلميّ قال : قال رسولُ الله ﷺ لعليّ :

إنَّ اللهَ أمرني أنْ أُدْنِيَكَ ولا أُقصيك ، وأنْ أعلِّمَك ، وأنْ تعي ، وإنَّ حقًّا على الله أن تعي . ونزلَتْ : ﴿ وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيَة ﴾[1] قال : أذُنٌ عقلَتْ عن الله عزَّ وجلّ .

توفي فارس بن البَلْخيّ سنة خمسٍ وخمسين وأربع مئة .

٨٩ ـ فارس بن منصور بن عبد الله
أبو شجاع البزَّار[2]

حدث عن الحسين بن إسماعيل بسنده إلى أبي هارون العَبْدي قال :

كنا إذا جئنا إلى أبي سعيد الخُدْريّ قال : مرحباً بوصيَّةِ رسولِ الله ﷺ ، قلنا : وما وصيَّةُ رسولِ الله ﷺ ؟ قال : قال لأصحابه : الناسُ لكم تَبَع ، وسيأتيكم ناسٌ من أقطار الأرض[3] يتفقَّهون ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً وعلِّموهم ممَّا علَّمكم الله .

وحدث عنه أيضاً بسنده إلى أبي سعيد قال :

سألْنا رسولَ الله ﷺ عن الجنين فقال :كلوهُ إنْ شئتُمْ ، ذَكاتُه ذَكاةُ أُمِّه .

---

(١) سورة الحاقة ١٢/٦٩

(٢) كذا في الأصل ، وفي التاريخ (س) : « البزاز » ولم أظفر له بترجمة .

(٣) في الأصل : « من أقطار الناس » وفوق « الناس » في الأصل خط وإلى جانب السطر في الهامش حرف (ط) إشارة إلى عدم اطمئنان المختصِر إليها . وما أثبتُّه من التاريخ (س) ٩٨/١٤ أ . والحديث ساقه المختصِر في ترجمة غوث بن أحمد ص ٢١٠ من هذا الجزء ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٩١/١ ، ٩٢ في المقدمة (٢٢) والترمذي ١٣٨/٤ في العلم ، كلاهما من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد .

٩٠ ـ الفتحُ بن الحُسَين بن أحمد بن سَعْدان

أبو نصر الفارقي

حدث عن أبي الحسن علي بن يحيى بن زكّار الفارقي اللُّغَوي [١٠٨/ب] قال : كان عرض لشيخنا أبي الحسن حاجةٌ في بعض قُرى ميّافارقين[١] ، فأرسل إلى بعض أصدقائه يستعير منه دابّة يركبها ، فأنفذ له دابّةً بلا سَرْج ، فاستعار سرجاً من صديقٍ آخر ومضى لحاجته ، فلما عاد أرسل بالدابة إلى صاحبها ومعها رقعةٌ فيها هذه الأبيات : [من الوافر]

بعثتُ إليـــــــك في أمْرٍ مُهِمٍّ ... أردتَ فما أردتَ بـه رواجَـهْ
فجُدْتَ ببعضِـه ومنعْتَ بعضـاً ... ومن حـقّ المقصّر أنْ يُـواجَـهْ
جـــــــزاك اللهُ عني نصفَ خير ... فإنك قد مَنَنْتَ بنصفِ حاجَهْ

٩١ ـ الفتح بن خاقان بن عُرْطُوج[٢]

أبو محمد التُّرْكي

قدم دمشق مُعَادل المتوكّلَ على جَمّازة[٣] ، ونزل بالمِزّة[٤] ، فلما رحل المتوكل عن دمشق ولاّها الفتح بن خاقان ، فاستخلف بعده كَلْباتِكين التركي . وكان أديباً ظريفاً ، له شعر حسن ، وكان من السماحة في الغاية ، وكان على خاتم المتوكّل ، وقُتل معه .

دخل المعتصمُ يوماً إلى خاقانَ يعودُه ، فرأى الفتح ابنه وهو صبيٌّ لم يَثْغَرْ[٥] ، فمازحه ثم

---

(١) ميافارقين : أعظم مدينة بديار بكر (آمد) تقع إلى الشمال الشرقي منها . انظر معجم البلدان ٢٣٥/٥ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) في الأصل بالعين المهملة . وكذا في التاريخ والنجوم الزاهرة ٢٣٧/٢ ؛ ووقع في الجليس ٢٦٩/١ ومعجم الأدباء ١٧٤/١٦ وفوات الوفيات ١٧٧/٣ « غرطوج » بالغين المعجمة ولم أقف على ضبطه ، إلا أنه ذكر في التاج (عرطج) : عُرْطوج كزنبور : ملك من الملوك . فإن لم يكن هو فسَمِّيه ، والله أعلم .

(٣) معادل : أي راكب معه في المَحْمِل . اللسان (عدل) ، والجمازة : الناقة السريعة الوثابة التي تعدو الجزى . التاج (جمز) .

(٤) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . معجم البلدان ١٢٢/٥ وهي اليوم متصلة البناء بدمشق .

(٥) يثْغر : من الاثْغار ، وهو نبات الأسنان بعد سقوطها . اللسان (ثغر) .

قال : أيُّها أحسن ، داري أم دارُكم ؟ فقال الفتح : ياسيدي دارُنا إذا كنت فيها أحسن . فقال المعتصم لأبْرَحَ حتى أُنْثَرَ عليه مئة ألف درهم . ففعل ذلك .

قال الفتح بن خاقان :

غضب عليَّ المعتصم ثم رضي عني وقال : ارفع حوائجك لتقضى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ليس شيءٌ من عَرَضِ الدنيا وإنْ جلّ يفي برضى أمير المؤمنين وإنْ قلّ . فأمر فحُشي فمي جوهراً .

ومن شعر الفتح بن خاقان : [من الرمل]

بُني الحُبُّ على الجَوْرِ فلَوْ أنصف المعشوقُ فيه لَسَمُجْ
ليس يُستملَحُ في وصف الهوى عاشقٌ يُحسِنُ تأليفَ الْحُجَجْ[1]

[١٠٩/آ] قال أبو العباس المُبَرِّد :

مارأيتُ أحرصَ على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأمّا الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يدِه كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أيَّ كتاب كان . وأمّا الفتح فكان يحمل الكتاب في خُفّه ، فإذا قام بين يدي المتوكل ليبول أو ليصلي أخرجَ الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريد ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أنْ يأخذ مجلسه . وأمّا إسماعيل بن إسحاق فإني مادخلتُ عليه قطُّ إلاّ وفي يده كتابٌ ينظرُ فيه ، أو يقلّبُ الكتب لطلب كتابٍ ينظُر فيه .

قال البُحْتُريّ :

كان أوّلَ مامدحتُ به الفتح بن خاقان : [من الطويل]

هَبِ الدارَ ردَّتْ رَجْعَ ماأنتَ قائلُهْ[2]

فأنشدتُه إيّاها في سنة ثلاثٍ وثلاثين بعد أنْ أقمتُ شهراً لاأصل إلى إنشاده ، وهو مع ذلك يُجري عليَّ ويصلُني ، ثم جلس جلوساً عاماً وحضرتُ وحدي ، فأنشدته فرأيتُه يتبسَّم عند

(١) « وهذان البيتان برويان لعُلَيّة بنت المهدي » . قاله ياقوت في معجم الأدباء ١٨٤/١٦ .

(٢) عجزه : « وأبدى الجوابَ الرَّيْعَ عما تسائلُهْ » . الديوان ١٦١٠/٣ .

كلّ بيتٍ جيّد فعلمتُ أنه يعلم الشعر ، وكان ذلك أعجبَ إليّ من جميع ما وصلني به ، وكان أول ما اهتزّ له حين بلغتُ قولي :

وقد قلتُ لِلْمُعْلِي إلى المَجْدِ طَرْفَهُ ... دَعِ المَجْدَ فالفتحُ بنُ خاقانَ شاغِلُهْ
أطَلَّ بنعماهُ فَنْ ذا يُطاوِلُهْ ... وعَمَّ بجَدْواهُ فَنْ ذا يساجِلُهْ
أمِنْتُ بهِ الدهْرَ الذي كنتُ أتّقي ... ونِلْتُ بهِ القَدْرَ الذي كنتُ آمَلُهْ
ولَمّا حضَرْنا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرتْ ... رجالٌ عن البابِ الذي أنا داخلُهْ
فأفْضَيْتُ من قربٍ إلى ذي مَهابةٍ ... أُقابِلُ بدرَ الأُفْقِ حين أقابِلُهْ
فسلّمتُ واعْتاقَتْ جَنانِيَ هَيْبَةٌ ... تُنازِعُني القَوْلَ الذي أنا قائلُهْ
فلمّا تأمّلْتُ الطَّلاقةَ وانثنى ... إليّ ببِشْرٍ آنَسَتْني مخايِلُهْ
دَنَوْتُ فقبّلْتُ الثرى[1] من يدِ امرئٍ ... جميلٍ مُحَيّاهُ سباطٍ أناملُهْ [١٠/ب]
صَفَتْ مثلما تصفو المُدامُ خِلالُهُ ... ورَقّتْ كما رقّ النسيمُ شمائلُهْ[2]

فلما فرغتُ سرّهُ ما سمع ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم وقال : أمير المؤمنين يخرج إلى المصلّى لصلاة الفطْر ويخطب ، فاعمَلْ شعراً تُنْشدُه إيّاهُ إذا رجع . فلما جاء الفطْر وركب ورجع أوصلني إليه ، فدخلتُ فأنشدتُه : [من الطويل]

أبرَّ على الأنواء نائِلُكَ الغَمْرُ[3]

فلما بلغتُ قولي :

وحالَ عليكَ الحَوْلُ بالفطْرِ مُقبِلاً ... فبالْيُمْنِ والإقبالِ قابَلَكَ الفِطْرُ[4]
لَعَمْري لئنْ زُرْتَ المصلّى بجَحْفَلٍ ... يُرفرِفُ في أثناءِ راياتِهِ النَّصْرُ[5]
عليكَ ثيابُ « المصطفى » ووقارُهُ ... وأنت بهِ أوْلى إذا حَصْحَصَ الأمْرُ

---

(١) كذا الأصل ، ولفظ الديوان : « الندى » وهو أشبه بالصواب .

(٢) ديوان البحتري ١٦١٢/٣ ـ ١٦١٤ .

(٣) عجزه : « وبنت بفخرٍ ما يشاكله فخرُ » والقصيدة في ديوانه ٩٩١/٢ .

(٤) في الديوان : « فباليُمْن والإيمان » .

(٥) في الديوان : « لقد زرت » .

ولما صعدْتَ المِنْبَر اهْتَزَّ واكتسى ... ضياءً وإشراقاً كما سطعَ الفَجْرُ
بَهَرْتَ قلوبَ السامعين بخُطْبَةٍ ... هي الزَّهَرُ المَبْثُوثُ واللؤْلؤُ النَّثْرُ
فما تركَ «المَنْصورُ» نَصْرَكَ عندها ... ولا خانكَ «السَّجَّادُ» فيها ولا «الحَبْرُ»[1]
جُزيتَ جزاءَ المُحْسِنينَ عن الهدى ... وتَمَّتْ لك النُّعْمى وطالَ لك العُمْرُ[2]

فقال المتوكل للفتح : هذا شاعرك ! فجعل يصفُني له ، ثم جاوره ، فعلمتُ أنه في صِلتي إلى أنْ أمر لي بعشرة آلاف درهم ، فأخذتها من وقتي وخُصصتُ بالفتح حتى كنتُ أشفع الناس إليه ، ثم صيَّرني بعدُ في جلساء المتوكّل .

قال البُحْتُريّ :

كنتُ أمدحُ المتوكّلَ بمثل مدائحي في الفتح بن خاقان مقوِّماً لفظي غيرَ مُرْسِلٍ نفسي ، فقال لي الفتح ـ وكان قويَّ الأدب حسنَ المعرفة بالشعر ـ ليس بك حاجةٌ في مدح أمير المؤمنين إلى مثل هذا ، ليِّنْ كلامَكَ حتى يُفهمَ عنك ، فإنه يلذُّ ما يفهم . فعلمتُ أنه نصحني ، فمدحتُه بأشعاري التي منها : [من الخفيف]

لي حبيبٌ قد لجَّ في الهَجْر جِدًّا ... وأعادَ الصُّدُودَ منه وأبْدَا[3]

[١١٠/أ] ومنها قولي : [من مجزوء الكامل]

لِمَ لا تَرِقُّ لِذُلِّ عَبْدِكْ ... وخُضُوعِهِ ، فتفي بوعْدِكْ[4] ؟

ومنها قولي : [من مجزوء الكامل]

عن أيِّ ثَغرٍ تبتسمْ ... وبأيِّ طَرْفٍ تحْتَكِمْ[5]

فحظيتُ عنده وقربت من قلبه ، وتوفَّرَتْ عليَّ صِلاته .

---

(١) السجاد : هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وهو جد الخلفاء العباسيين ، لقب بالسجاد لكثرة صلاته . والحبر : هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

(٢) الأبيات في ديوانه ٩٩٢/٢ ، ٩٩٣ .

(٣) أبدا : من أبدأ الشيءَ ، أي أبداه . والبيت في ديوانه ٧١١/٢ .

(٤) ديوان البحتري ٧٠٥/٢ .

(٥) ديوان البحتري ١٩٩٨/٣

قال البحتري :

قال لي المتوكّل : قُلْ فيَّ شعراً وفي الفتح ، فإني أحبُّ أنْ يحيا معي ولاأفقِدُه فيذهب عيشي ، ولا يفقدَني فيذِلّ ، فقُلْ في هذا المعنى ، فقلت : [من الخفيف]

سيِّدي أنت كيف أخْلَفْتَ وَعْدي ... وتناقَلْتَ عن وفاءٍ بعَهْدي
لاأرَتْني الأيّامُ فَقْدَكَ يافَتْـ ... ـحُ ولاعرَّفَتْكَ ماعِشْتَ فَقْدي
أعْظَمُ الرُّزْءِ أنْ تقدَّمَ قَبْلي ... ومن الرُّزْءِ أنْ تُؤخَّرَ بَعْدي
حَسَداً أنْ تكونَ إلْفاً لغيري ... إذْ تفرَّدْتَ بالهَوَى فيك وَحْدي[1]

فقُتلا معاً وكنت حاضراً فربحتُ هذه الضربة ـ وأومأ إلى ضربةٍ في ظهره ـ فقال : أحسنتَ يابُحْتُريّ ! وجئتَ بما في نفسي لما أنشدتَهُ من أمْر الفتح . وأمر لي بألف دينار .

قال البحتري :

كنتُ عملتُ هذه الأبيات في غلامٍ لي ، كنتُ أكْلَفُ به ، فلمَّا أمرني المتوكّلُ بما أمر تنحَّيْتُ فقلتُ الأبيات وأريتُه أني عملتُها في وقتي وماغيَّرْتُ فيها إلاّ لفظةً واحدة ، فإني كنتُ قُلْت :

لاأرَتْني الأيامُ فَقْدَك ماعشْتَ

فجعلتُه يافَتْحُ .

قال عليُّ بن الجَهْم :

إني عند المتوكّل يوماً ، والفتح جالس إذْ قيل له : فلان النخّاس بالباب ، فأذن له ، فدخل ومعه وصيفة ، فقال له المتوكل : ماصناعة هذه ؟ قال تقرأ بألْحان ، فقال الفتح : اقرئي لنا خمسَ آيات ، فاندفعت تقول : [من السريع]

قد جاءَ نصرُ الله والفَتْحُ ... وشَقَّ عنا الظُّلْمَةَ الصُّبْحُ
خَدِينُ مُلْكٍ ورَجَا دولةٍ ... وهُمَّةُ الإشفاقُ والنُّصْحُ
اللَّيْثُ إلاّ أنَّهُ ماجِدٌ ... والغَيْثُ إلاّ أنّه سَمْحُ

---

(١) ديوان البحتري ٢١٩/١ ، ٢١٨ .

وكلُّ بـــابٍ للنـــدى مُغْلَـــقٌ فـــإنمـــا مفتـــاحُـــهُ الفَتْـــحُ

[١١٠/ب] قال : فوالله لقد دخل أميرَ المؤمنين من السرور ما قام إلى الفتح فوقع عليه يقبّله ، ووثب الفتح يقبّلُ رجله ! وأمر أميرُ المؤمنين بشرائها ، وأمر لها بجائزةٍ وكسوة ، وبعث بها إلى الفتح ، فكانت أحْظى جواريْه عنده ، فلمّا قُتل الفتح رَثَتْهُ بهذه الأبيات : [من المنسرح]

قـد قلتُ للمـوت حين نـازلَـهُ والمـوتُ مِقْـدامـةٌ على البُهَمِ[1]
لـو قـد تبيَّنْتَ[2] مـا فعلتَ إذاً قرعْتَ سِنَّـا عليـه من نَـدمِ
فـاذْهَبْ بَنَعْ شئت إذْ ذهبتَ بـهِ مـا بعـد الفتحِ للموتِ من ألَمِ[3]

ولم تزَلْ تبكي وتنوح عليه حتى ماتت[4] .

قال المُبَرِّد :

سمع الفتحَ يُنشد قبل أن يُقتل بساعات : [من الطويل]

وقـد يقتُـل الغُتْميُّ مـولاهُ غِيلَـةً وقد ينبَحُ الكلبُ الفتى وهو غافلُ[5]

---

(١) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذي لا يدرى من أين يؤتى لشدة بأسه . اللسان (بهم) .

(٢) في الأصل من غير نقط وقد نقص منها حرف ، وما أثبتُّه من التاريخ .

(٣) كذا في الأصل والتاريخ (س) ، والشطر الثاني مضطرب الوزن ، والصواب في معجم الأدباء وروايته : « ما بعد فتح للموت من ألم » .

(٤) الخبر والأبيات في معجم الأدباء ١٨٥/١٦ ، ١٨٦ .

(٥) الغتمي : من لا يفصح شيئاً . اللسان (غتم) .

٩٢ ـ الفتح بن شَخْرَف بن داود بن مزاحم

أبو نصر الكَشِّي[١] الصوفي

قدم دمشق .

حدث عن محمد بن يزيد بن سنان بسنده إلى ابن عمر قال : قال سولُ الله ﷺ :

قلَّ ما يُوجَدُ في آخر أُمَّتي درهمٌ من حلال ، أو أخٌ يوثَق به .

وحدَّث عن محمد بن خلف العَسْقلاني قال : سمعتُ محمد بن يوسف الفِرْيابي يقول :

لقد بلغني أنَّ الذين كسروا رَبَاعية رسولِ الله ﷺ لم يولد لهم صبية فنبتت لهم رَبَاعية .

وحدث عن نصر بن الصباح بسنده إلى أبي جعفر قال :

أكل عليُّ بن أبي طالب يوماً تمرَ دَقَل[٢] ، ثم شرب عليه ماء ، ثم ضرب بيده بطنه وقال : مَنْ أدخلَهُ بطنَه النارَ فأبعده الله . ثم تمثل : [من الطويل]

إنك مهما تُعْطِ نفسَكَ سُؤْلَها ... وفَرْجَكَ نالا مُنْتَهى الذَّمِّ أجْمَعا[٣]

قال الفتح بن شخرف :

كنتُ في جامع دمشق والقاسم الجُوعي ، وأبو تُرَاب النَّخْشَبيّ [١١١/آ] وأحمد ابن أبي الحَوَاريّ جلوساً ، فحدث أبو تُرَاب ، أنه رأى شابًّا في البادية فقال له : من أين زادُك ؟ قال : فأخرج مُصْحَفاً فإذا فيه مكتوب ﴿ كهيعص﴾ فقلتُ له : ماهذا ؟ فقال : كاف من كافٍ وهاء من هادٍ فيحتاجُ مع هذا إلى زاد .

وكان الفتح بن شَخْرَف أحدَ العُبَّاد السيَّاحين .

---

(١) الكَشِّي : نسبة إلى كش . وفي تاريخ بغداد ٣٨٤/١٢ بالسين المهملة . قال شارح القاموس : كش : بالفتح مدينة بما وراء النهر ، هكذا يقولونها كما نقله ياقوت ؛ وقد يعرب بكسر الكاف وإهمال السين . انظر (كشش) .

(٢) الدقل : أردأ أنواع التمر . اللسان (دقل) .

(٣) البيت لحاتم الطائي ، أورده ابن قتيبة ضمن ترجمته في الشعر والشعراء وهو في ديوانه ص ٣٤ ط لندن ١٨٧٢ .

حدث الفتح بن شخرف قال : حدثني أبو بكر بن زَنْجويه بسنده إلى سفيان الثوريّ

أنه قال لوُهَيب بن الوَرْد وهو ينظر إلى الكعبة : وربِّ هذه البَنِيَّة إني لأُحبُّ الموت ، فقال له وُهيب : ولِمَ يا أبا عبد الله ؟ قال : فقال سفيان : يا أبا أميَّة ! تستقبلُكَ أمورٌ عِظام ، تستقبلك أمورٌ عِظام .

قال أحمد بن حنبل :

ما أخرجَتْ خُرَاسان مثل فتح بن شخرف .

قال فتح بن شخرف :

رأيتُ ربَّ العِزَّةِ تعالى في النوم فقال لي : يا فتح ، احْذَرْ لا آخذَكَ على غِرَّة . قال : فتهتُ في الجبال سبع سنين .

قال فتح بن شخرف :

كنتُ بأنطاكية ، وبها جبل يقال له المطل ، فنويتُ أن أصعدَ عليه ، ولا أزالُ حتى أختم القرآن ـ أو أتعلَّم القرآن ـ فحملَتْني عيني فنمت ، فبينا أنا نائم إذا أنا بشخصين ، فقلتُ للذي يقرب مني مَنْ أنت يا هذا ؟ فقال لي : من ولد آدم ، قلت : كلُّنا من ولد آدم ، قلت : فمن الذي وراءك ؟ قال : عليُّ بن أبي طالب ، قال : قلت له : أنت قريبٌ منه ولا تسأله ! قال : أخشى أنْ يقولَ الناسُ أني رافضي ، قال : قلت دعْني أقرب منه ، فيقولوا أني رافضي . فتنحَّى من مكانه وقعدتُ فيه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلمة خير شيء ؟ فقال لي : نِعْمَ صدقةُ المؤمن بلا تكلُّفٍ ولا مَلَل . قلت : زِدْني يا أمير المؤمنين ، قال : تواضُعُ الغنيِّ للفقير رجاء ثواب الله . قلت : زِدْني يا أمير المؤمنين ، قال : وأحسَنُ من ذلك تَرَفُّعُ الفقير على الغنيِّ ثقةً بالله . قلت : زِدْني يا أمير المؤمنين ، فبسط كفَّه ، فإذا فيها مكتوب : [من مخلَّع البسيط] .

[و] كنتَ مَيْتاً فصرتَ حيًّا ... وعن قليلٍ تعودُ مَيْتا

أعْيَا بدارِ الفناء بيتٌ ... فابْنِ بدارِ البقاء بَيْتا[1]

ثم انتبهت .

---

(١) الخبر والبيتان في تاريخ بغداد ٣٨٦/١٢ ، ٣٨٧ . وبرواية أخرى ولفظ مختلف في صفة الصفوة ٢٢٧/٢ (ط الهند) .

[١١١/ب] قال فتح بن شخرف :

من إعجابي بكل شيء جيد : عندي قلمٌ كتبتُ به أربعين سنة ، كنتُ أكتبُ به بالنهار وأكتبُ به بالليل ، وكانت دارُنا واسعة ، فكنت أكتب في القمر حتى يرتفع ، وأقعُدُ على سُلَّم في دارنا أرتقي عليه مِرْقاة مرقاة ، حتى ينتهيَ السلَّم ، فإذا تشعَّثَ[1] رأسُ القلم قطَطْتُه[2] ، وهو عندي . فأخرج إليَّ أُنْبُوبةً صفراء ، وأخرج القلم منها فأرانيه .

قال أبو محمد الجَزَيري :

غسَّلْنا الفتح بن شخرف ، فرأينا على فخذه مكتوباً : لاإله إلا الله ، فتبوَهَّمْناهُ مكتوباً ، فإذا عِرْقٌ داخل الجلد .

وفي رواية : غسَّلْتُ الفتح بن شخرف فقلَبْتُه عن يمينه ، فإذا على فخذه الأيمن مكتوبٌ خِلْقَةً : لله . كتابةً بَيِّنة .

وكان فتح بن شخرف رجلاً زاهداً لم يأكلِ الخبزَ ثلاثين سنة[3] .

توفي الفتح بن شخرف سنة ثلاث وسبعين ومئتين ببغداد ، وصُلِّي عليه ثلاثاً وثلاثون مرَّة ، أقلُّ قوم كانوا يصلون عليه كانوا يُعدُّون خمسةً وعشرين ألفاً ، إلى ثلاثين ألفاً .

---

(١) في الأصل « فسعت » بمهملات ، وفي التاريخ (س) : « قشعت » وكلاهما تصحيف ، والصواب من تاريخ بغداد ٣٨٦/١٢ ، وابن عساكر يرويه عنه كما في سنده .

(٢) قطّه : قطعه عرضاً .

(٣) الخبر هنا منسجم مع سياق الأخبار في الترجمة ، لكنَّ سياق الخبر عند ابن عساكر في التاريخ (س) ١٠١/١٤ ب المنقول عن الخطيب في تاريخ بغداد ٣٨٨/١٢ يدلُّ على أنه ليس للفتح وإنما لأبيه ، إذ يقول : « ... قال جعفر : ورأيت أبا فتح بن شخرف هذا ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً ، لم يأكل الخبز ثلاثين سنة » . قلت : لعله سقط من نص الخطيب الذي نقله ابن عساكر لفظ (نصر) فيكون : « ... ورأيت أبا [نصر] فتح بن شخرف ... » وبهذا يكون نص المختصر صحيحاً ؛ ويؤيد ماذهبتُ إليه سياق ابن الملقّن للخبر في طبقات الأولياء ص ٢٧٤ بنحو سياق ابن منظور . والله أعلم .

٩٣ ـ الفتح بن عبد الله

أبو علي التميمي

حدث عن عبد الوهّاب بن عبد الله الوكيل بسنده إلى ابن عمر

أنَّ النبيَّ ﷺ ردَّ اليمين على طالب الحق .

٩٤ ـ فُديْك بن سَلْمان ، ويقال : ابن سُليمان بن عيسى

أبو عيسى العُقَيلي القَيْسراني

حدث فُديك بن سَلْمان عن الأوزاعيّ بسنده إلى صالح بن بَشير بن فُديك ، قال :

جاء فُدَيك إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، إنهم يزعمون أنَّ من لم يُهاجر هلك ، فقال رسولُ الله ﷺ : يافُدَيك ، أقِمِ الصلاة ، وآتِ الزكاة ، واهْجُرِ السوء ، واسْكُنْ من أرض قومك حيث شئت . قال : وأظنُّه قال : تكُنْ مُهاجراً .

وزاد في حديثٍ آخر : وحُجَّ [١١٢/آ] البيت ، وصُمْ شهر رمضان .

كان سفيان يقول : الإيمان قولٌ وعمل ، يزيدُ وينقص . قال أحمد : سألتُ الفِرْيابي عنه ، قلت : سمعتَهُ من سفيان ؟ قال : لم أسمَعْهُ منه ، وهو كان رأيه . وسألت الفِرْيابي عن قول الأوزاعي قال : سمعتُه يقول : الإيمان قول وعمل . ولم أسمعْ : يزيد وينقص . وفُدَيك يُخبركم عنه ؛ فأتينا فُديك بن سليمان فقلنا له : حدِّثْنا ، فقال : قدم علينا رجلٌ من دمشق ، يزعم أنَّ بدمشق رجلاً يقول : إنَّ الإيمان قولٌ وعمل ، يزيد ولا ينقص . فخرجنا من قَيْساريَّة[1] نحوٌ من عشرين رجلاً على أرجلنا نمشي ، حتى دخلنا على الأوزاعي ببيروت ، فقلنا له : ياأبا عمرو ! إنَّ بدمشقَ رجلاً يزعم أنَّ الإيمان قولٌ وعَمَل ، يزيد ولا ينقص ؟ فقال لنا أبو عمرو : مَنْ زعم أنَّ الإيمان قولٌ وعَمَل ، يزيد ولا ينقص ، فاحذروه فإنه مبتدع . وقال الأوزاعي : الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص .

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال فلسطين ، انظر معجم البلدان ٤٢١/٤ ، ٤٢٢ وموقعها بين حيفا ويافا .

٩٥ ـ فُرَاتُ بن مسلم ، ويُقال ابن سالم ، الجَزَري

مولى بني عقيل ، والد نوفل بن الفرات

وفد على عمر بن عبد العزيز .

قال فراتُ بن مسلم :

اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً ، فطُلب له ، فلم يوجد فركب[1] وركبنا معه ، وتلقّاه غلمانٌ من الدَّيَارنة بأطباقٍ فيها تفاح ، فوقف على طبقٍ منها ، فتناول تفّاحةً فشمّها وأعادها في الطبق ثم قال : ادخلوا دَيْرَكم ، لاأعلم أنكم بعثتُمْ إلى أحدٍ من أصحابي بشيء . قال : فحرّكتُ بغلتي فلحقتُه فقلت : ياأمير المؤمنين ! اشتهيتَ التفاح فطُلب لك فلم يُوجد ، ثم أُهدي لك فردَدْتَه ! فقلت : ألَمْ يكنْ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر يقبلون الهديّة ؟ قال : إنها لرسولِ الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمر هديّة ، وللعُمّال بعدهم رِشْوَة .

قال فرات بن مسلم :

كنتُ أعرض على عمر بن العزيز كتبي في كلّ جمعةٍ مرّة ، فعرضتُها عليه فأخذ منها قرطاساً نقيًّا قدْرَ [١١٢/ب] أربع أصابع أو شبر ، فكتب فيه حاجةً له ، فقلتُ : غفَل أميرُ المؤمنين . فبعث إليَّ من الغد : جئني بكتبك ، قال : فبعثني في حاجة ، فلما جئتُ قال لي : ماآنَ لنا أنْ ننظر فيها ، قلت : إنا نظرتَ فيها أمس ، قال : اذهبْ حتى أبعث إليك ؛ فلما فتحتُ كتبي وجدتُ فيها قرطاساً قَدْرَ القرطاس الذي أخذه .

دخل الفرات بن سالم على عمر بن العزيز فقال له عمر : مِمَّنْ أنت ؟ قال : من بني عُقَيل ، قال : من أنفُسهم أو من مواليهم ؟ قال : لابل من مواليهم ، قال : فلا تقلْ من بني عُقَيل ، فإنما بنو الرجل ما وَلَد ، ولكنْ قلْ : من عُقيل .

وكان أبو نوفل ثقة .

---

(١) في الأصل : « فركبت » من غير نقط ، وما أثبتُّه من التاريخ وتاريخ الرقة ص ٨٠ .

٩٦ ـ فراس الشَّعْبَاني

أحسبُه دمشقيًّا .

كان فراس الشعباني مع غزَاةٍ بالقُسْطَنْطينيَّة في زمان معاوية . قال فراس : وعلينا يزيد بن شجرة ، فبينا نحن عنده إذْ مرَّ بنا أبو سَعْد الخَيْر صاحبُ رسولِ الله ﷺ فقال له يزيد : ياأبا سعد ! أنت الذي يقول إنه لابأس أنْ يقرأ الجُنُبُ القرآن ؟ فقال أبو سعد : أنا الذي أقول : الجُنُب إذا توضَّأ وضوءَهُ للصلاة ، لابأس أنْ يقرأ الآية والآيتين ، وايْمُ الله إنكم لتصنعون ماهو أشدُّ عليكم من ذلك ، قال : وماهو ؟ قال : تأكلون مامسَّتْهُ النار ثم تصلُّون ولاتوضَّؤون ، وأنا سمعتُه من رسولِ الله ﷺ يقول : توضَّؤوا ممَّا مستِ النار وغلت به المراجل .

زاد في غيره : والقدور .

٩٧ ـ فرج بن إبراهيم بن عبد الله

أبو القاسم النَّصِيبي الصوفي الأعمش

ويُعرف بفُرَيْج

حدث عن سُليمان بن محمد بن إدريس بسنده إلى أبي العُشَراء الدّارمي عن أبيه قال :

قلت يارسولَ الله ! ماتكونُ الذَّكاةُ إلاَّ في الحَلْق واللَّبَّة ؟ قال : وأبيك لو طعنتَ في فخذِها أجزَأك .

[١١٣/آ] وعن فُرَيج قال : سمعتُ أبا جعفر المِصِّيصي يقول : سمعتُ سهل بن عبد الله يقول : احفظوا السواد على البياض ، فما أحدٌ ترك الظاهر إلاَّ خرج إلى الزَّنْدَقة .

قال فَرَج النَّصِيبي بسنده إلى أبي محمد الجريري قال :

سمعتُ قائلاً يقول في المنام : إنَّ الله لايَعْبَأُ بصاحب رواية ولاحكاية ، إنما يعبأ بصاحب قلبٍ ودِراية .

قال الفرج بن إبراهيم :

أنشدنا عبد الله بن عصام قال : أنشدني بعضُ أصحابنا : [من الطويل]

أخوك الذي لا يَنْقُضُ الدَّهْرَ عهدَهُ ... ولا عند صَرْف الدهر يَزْوَرُّ جانبُهْ

وليس [الذي] يلقاكَ بالودِّ والصَّفا ... وإنْ غِبْتَ عنه تتَّبِعْكَ عقاربُهْ

فَخُذْ من أخيك العَفْوَ واغفِرْ ذنوبَهُ ... ولا تَكُ في كلِّ الأمور تجانبُهْ

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعَاتِباً ... صديقَكَ لم تلق الذي لا تعاتِبُهْ

إذا أنتَ لم تشربْ مِرَاراً على القذى ... ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُهْ[1]

٩٨ ـ الفَرج بن فضالة بن النعمان بن نعيم

أبو فَضَالة التَّنُوخي الحمصي

وقيل إنه دمشقي .

حدّث عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت :

كنت أُغَلِّفُ لحيةَ رسول الله ﷺ بالغالية[2] ثم يُحْرِم .

وحدث فرج بن فضالة ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول قال :

مرض معاذ بن جبل ، فأتاه أصحابُه يعودونه ، فقال : أجلسوني ، فأجلسوه فقال : كلمةً سمعتُها من رسول الله ﷺ ، قال : مَنْ كان آخرَ كلامه عند الموت لا إله إلاَّ الله وحْدَهُ لاشريك له هدَمَتْ ما كان قبلها من الذنوب والخطايا ، فلَقِّنُوها موتاكم . فقيل : يا أبا عبد الرحمن ! فكيف هي للأحياء ؟ قال : هي أهْدَمُ وأهْدَم .

وحدث عن لُقْمان بنِ عامرٍ عن أبي أُمامة قال :

حججْتُ مع رسول الله ﷺ حجَّةَ الوداع ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألاَ لعلَّكم أنْ لا ترَوْني بعد عامي هذا ـ ثلاثَ مرّات ـ فقام إليه رجلٌ طُوَال [١١٣/ب] أشعث كأنه من أزْدِ شَنُوءَة فقال : يا رسولَ الله ! فما الذي نفعل ؟ قال : اعبدُوا ربَّكم ، وصلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وحجُّوا بيتَ ربِّكم ، وأدُّوا زكاتكم ، طيِّبَةً بها أنفسُكم تَدْخُلوا جنَّةَ ربِّكم .

---

(١) البيتان الأخيران لبشار بن برد ، وهما في ديوانه ٣٠٩/١ . وما بين معقوفين في البيت الثاني من التاريخ .

(٢) نوع من الطيب مركّب من مسك وعنبر وعود ودُهن ، والتغلُّف بها التلطُّخ . اللسان (غلي) .

وُلد الفَرج بن فضالة في خلافةِ الوليد بن عبد الملك في غَزَاةِ مَسْلَمةَ الطُّوَانَة[1] ، فجاء الخبرُ بولادته في يوم فتح الطُّوانَة ؛ فأعلمَ أبوهُ مسلمةَ خبرَ ولادته ، فقال له مَسْلَمة : ماسمَّيتَه ؟ قال : سمَّيتُه الفَرَج لما فَرَّج عنا في هذا اليوم بالفتح ، فقال مسلمة لفضالة : أصَبْت . وكان أصابَ المسلمين في الإقامةِ على الطُّوَانة شِدَّةٌ شديدة ، وذلك في سنةِ ثمانٍ وثمانين .

وتُوفِّي فرج سنةَ ستٍّ وسبعين ومئة - [2] وقيل سنة سبعٍ وسبعين [2] - وكان على بيت مال بغداد .

وكان ضعيفاً - وقال أحمد بن حنبل : هو ثقة[3] .

أقبل المنصورُ يوماً راكباً والفرج بن فضَالة جالسٌ عند باب الذهب ، فقام الناسُ ، فدخل من الباب ، ولم يقمْ له الفرج ، فاستشاط غضباً ودعا به ، فقال : مامنعَكَ من القيام حين رأيتني ؟ قال : خفتُ أنْ يسألَني الله عنه لِمَ فعلت ، ويسألَكَ لِمَ رضيت ؟ وقد كرهَهُ رسولُ الله ﷺ . قال : فبكى المنصور ، وقرَّبَهُ وقضى حوائجَه .

٩٩ - فروة بن عامر ويقال ابن عمرو

ابن النافرة الجُذَامي

أسلم على عهد رسولِ الله ﷺ ، واستشهد في أيَّامه . وكان يكون بالبلقاء بعَمَّان ومَعَان[4] من نواحي دمشق .

---

(١) طُوانة : بلد بثغور المصّيصة ، بين أنطاكية وبلاد الروم . انظر معجم البلدان ٤٥/٤ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٧١ و١٨٣ والخريطة (٤) . وموقعها اليوم في جبال طوروس إلى الشرق من « نغدة » أو هي « نغدة » نفسها في تركية .

(٢ - ٢) ما بينهما استدركه المختصر في هامش الأصل .

(٣) قول أحمد استدركه المختصر في هامش الأصل .

(٤) مَعَان : كذا ضبطه المختصر في اللسان وياقوت في معجم البلدان ١٥٣/٥ وقال : « والمحدثون يقولونه بالضم » . وموقعه اليوم في جبال الشراة شمالي شرق العقبة من الأردن .

كان فروة بن عمرو[1] عاملاً للروم على عمّان من أرض البَلْقاء أو على مَعَان ، فأسلم وكتب إلى رسولِ الله ﷺ بإسلامه ، وبعث به مع رجلٍ من قومه يقال له مسعود بن سعد ، وبعث إليه ببغلةٍ بيضاء ، وفرسٍ وحمارٍ وأثواب لين ، وقَبَاء سُنْدُس مُخَرَّص بالذهب . فكتب إليه رسولُ الله ﷺ :

من محمدٍ رسولِ الله إلى فروةَ بن عمرو ، أمّا بعد ، فقد قدِمَ علينا رسولُك [١١٤/آ] وبلّغ ما أرسلتَ به ، وخَبَّرَ عمّا قِبَلكم ، وأتانا بإسلامك ، وأنَّ اللهَ هداك بهُداه إنْ أصلحتَ وأطعتَ الله ورسولَه ، وأقمتَ الصلاة وآتيتَ الزكاة . وأمر بلالاً فأعطى رسولَه مَسْعُود بن سَعْد اثنتي عشرة أوقيّة ونَشًّا[2] . قال : وبلغ ملكَ الرُّوم إسلامُ فَرْوة ، فدعاه فقال له : ارجعْ عن دينك نُمَلِّكْكَ ، قال : لا أفارق دينَ محمد ، وإنّك تعلمُ أنَّ عيسى قد بشَّر به ولكنْ تَضَنُّ بملكك . فحبسه ثم أخرجه ، فقتله وصلَبه . ولما حُبس قال في مَحْبِسه : [من الكامل]

طرقَتْ سُلَيمى مَوْهِناً أصحابي ... والرُّومُ بين البابِ والقُرْوانِ[3]

صدَّ الخيالُ وساءَهُ ما قد رأى ... وهممتُ أنْ أُغْفي وقد أبكاني

لا تَكْحَلِنَّ العينَ بعدي إثْمِداً ... سلمى ولا تَدْنِنَّ للإيمانِ[4]

ولقد علمتَ أبا كُبَيْشةَ أنني ... وسْطَ الأعزَّةِ لا يُحَسُّ لساني[5]

فلئنْ هلكْتُ لتفقِدُنَّ أخاكُمُ ... ولئنْ أُصِبْتُ[6] لتعرِفُنَّ مكاني

ولقد عُرفتُ بكلِّ ما جمع الفتى ... من رأيهِ ، وبنجدةٍ وبَيَانِ[7]

---

(١) في الأصل « عمر » والمثبت من صدر الترجمة والتاريخ وطبقات ابن سعد ٢٨١/١ والخبر فيه .

(٢) النش : عشرون درهماً ، وهو نصف أوقية . وقيل : النش النصف من كل شيء . اللسان (نشش) .

(٣) الموهن : بعد ساعة من الليل . القُرْوان : جمع قَرْو ـ بفتح القاف ـ وهو شبه حوض ممدود مستطيل إلى جنب حوض ضخم ، يفرغ فيه من الحوض الضخم ، ترده الإبل والغنم . اللسان (وهن ، قرو) . وقال السهيلي في الروض ٢٢٨/٤ : القروان : يجوز أن يكون جمع قرو ، وهو حوض الماء مثل صنوان ، ويجوز أن يكون جمع قري مثل صليب وصلبان .

(٤) كذا في الأصل والتاريخ ، وفي سيرة ابن هشام « للإتيان » وهو أشبه بالصواب .

(٥) في التاريخ (س) : « تحس » من الحَسّ ، وهو الاستئصال والإفناء ، أو هو من البرد الذي يحرق الكلأ ويفنيه ، والصاد لغة فيه . ورواية السيرة والروض « يحص » بالصاد المهملة ، وفيه معنى القطع . اللسان والتاج (حسس ، حصص) .

(٦) رواية السيرة « بقيت » وهي أجود .

(٧) الأبيات في سيرة ابن هشام ٥٩١/٢ ، بخلاف في اللفظ .

فلما أجمعوا على صَلْبه على ماءٍ يقال له عِفْرَى[1] من فلسطين ، فلما رُفع على خشبته قال :

ألا هَـلْ أتى سلمى بـــأنَّ حليلهـــا ... على مـاء عِفْرى فـوق إحـدى الرواحـلِ
على نـــاقـــةٍ لم يضربِ الفحـلُ أمَّهـــا ... مُشَـــذَّبَـــة أطرافُهـــا بـــالمَنَـــاجـلِ

فلما قدَّموهُ ليقتلوه [قال] :

بلِّـغ سراةَ المسلمين بـــأنني ... سلْمٌ لربِّي أعْظَمي ومَقَـامي

ويُروى : أعْظُمي وبناني .

١٠٠ ـ فَرْوةُ بن مجاهد اللَّخْمِيُّ الفِلَسْطيني

مولى لخم

حدَّث فروةُ بن مجاهد عن سهل بن معاذ الجُهَني قال :

غزوتُ مع أبي الصائفة في زمن عبد الملك بن مروان ، وعلينا عبد الله بن عبد الملك فنزلْنا على حِصْن سنان [١١٤/ب] فضيَّق الناسُ المنازل وقطعوا الطريق ، فقام أبي في الناس فقال : أيها الناس إني غزوتُ مع النبيِّ ﷺ غزوةَ كذا وكذا ، فضيَّق الناس المنازل وقطعوا الطريق ، فبعث نبيُّ الله ﷺ منادياً فنادى في الناس ، أن مَنْ ضيَّق منزلاً أو قطعَ طريقاً فلا جهادَ له .

وحدث فروة عن عُقْبَة بن عامر الجُهَني قال :

كنتُ أمشي ذات يومٍ مع رسولِ الله ﷺ ، فقال رسولُ الله ﷺ : ياعُقْبَة بن عامر ، صِلْ مَنْ قطعك ، وأعْطِ مَنْ حرمك ، واعْفُ عمَّنْ ظلمك . ثم قال لي رسولُ الله ﷺ : ياعقبةَ بنَ عامر ، أمْسِكْ لسانك ، وابكِ على خطيئتك ، ولْيَسَعْكَ بيتُك .

---

(١) كذا ضبطه ياقوت في معجم البلدان (عِفْرى) ١٣١/٤ بكسر العين المهملة وسكون الفاء والقصر ، وذكر أنه ماء بناحية فلسطين ، وساق البيتين مع الخبر ؛ وكذا ضبطه المختصر في اللسان (عفر) إلا أنه لم يعرِّف به ، وقد رسمت ألفه في الأصل على شكل الياء ، إلا أن الزرقاني في شرح المواهب ٥٢/٤ ضبطه بفتح المهملة وسكون الفاء وألف ممدودة ، وأورد البيتين ؛ وتبعه محققو سيرة ابن هشام ٥٩١/٢ ، ٥٩٢ . وعفراء عرَّفها ياقوت أيضاً بأنها حصن قرب البيت المقدَّس في فلسطين . فيتبيَّن من ذلك أنها موضعان مختلفان .

وكان فروةُ بن مجاهد يقولُ إذا حدّثنا بهذا الحديث : ألا رُبَّ مَنْ لا يملكُ لسانه ، ولا يبكي على خطيئته ، ولا يسَعُهُ بيته .

وحدّث فروةُ بن مجاهد

أنَّ طاغيةَ الرُّوم لَمّا دعاه وأصحابه إلى قتال بُرْجان[1] ، ووعدهم تخليةَ سبيلهم إنْ نُصرتم عليهم فأجبناه إلى ذلك . قال لي أصحابي : وكيف نقاتلُهم بلا دعوةٍ إلى الإسلام ؟ فقال : لا يجيبنا الطاغية ، ولكنّي سأرفق[2] ، فقلت للطاغية : إنْ رأيتَ أنْ تأذَنَ لنا فنقيمَ الصلاة ونجمعها معشر المسلمين بين الصفَّين ، ثم قولوا أنتم جاءنا مدَدُنا من العرب ، فتكون صلاتُنا بين الصفَّين مصدّقاً لما قلتُم من ذلك . فأجابنا إلى ذلك وأقنا الصلاة ، فصلَّينا وقاتلناهم فنصرنا اللهُ عليهم وخلّى سبيلنا .

وفي آخرِ حديث غيره : ولم ير أهلُ العلمِ في ذلك الزمان بما صنعوا بأساً .

قال : وكانوا لا يشكُّون في أنَّ فروة من الأبدال ، مستجاب الدعاء .

١٠١ ـ فُريج بن أحمد بن محمد

أبو عبد الله القرشي

حدث عن أبي القاسم علي بن يعقوب بن أبي العقب[3] بسنده إلى أبي سعيد الخُدْري [١١٥/آ]

قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لا تسافرُ المرأة سفرَ ثلاثة أيّامٍ فصاعداً إلاّ مع زوجها أو ابنها أو ذي مَحْرَم .

زاد في روايةٍ أخرى : أو أخيها .

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان ٣٧٣/١ : « برجان : بلد من نواحي الخزر ... وكان المسلمون غزوه أيام عثمان رضي الله عنه » .

(٢) من الرِّفْق ، وهو لين الجانب ولطافة الفعل ، وصاحبه رفيق ، وقد رفَق يرفُق . اللسان (رفق) .

(٣) ضبط في أصل سير أعلام النبلاء « العقَب » بفتح القاف ضبط قلم ، ومقتضى سياق التاج (عقب) : « العَقِب » . بكسرها .

١٠٢ ـ فضالة بن أبي سعيد المَهْري المِصْري

قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز على منبر دمشق يقول :

ياأهل الشام ! قد بلغني عنكم أحاديث ، ماأنا بالرَّاجي لخيركم ولا بالآمن من شرِّكم ، وقد مللتموني ومللْتكم ، فأراحَني الله منكم وأراحكم مني . فما علاهُ حتى مات .

١٠٣ ـ فَضَالَةُ بن شَرِيك بن سَلْمان بن خُوَيلد

ابن سلمة بن عامر موقد النار ابن الحِرْبِش بن نُمير الأسدي

كان مُخَضْرماً ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان شاعراً فاتكاً صُعْلوكاً . وفَد على يزيد بن معاوية ومدحه ، ومن شعره في نساء بني حَرْب : [من الوافر]

رمى الحِدْثانُ نسوةَ آلِ حَرْب ... بمقدارٍ سَمَدْنَ لـه سُمودا[1]

فردَّ شعورَهُنَّ السودَ بيضاً ... وردَّ وجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

أتى فضالةُ بن شَريك عبدَ الله بن الزُّبير فقال له : قد نَفِدَتْ نفقتي ونَقِبَتْ[2] راحلتي فاحْمِلْني ، فقال له : أحضِرْ راحلتك ، فأحضرَها ، فقال له : أقبلْ بها أدْبِرْ بها ، ففعل ، فقال : ارْقَعْها بسِبْت ، واخْصِفْها بهُلْب[3] ، وأنْجِدْ بها يَبْرُدْ خُفُّها ، وسِرْ عليها البَرْدَيْن تَصِحّ[4] . فقال ابن فَضَالة[5] : إنما أتَيتُكَ مُسْتحمِلاً ولم آتك مستوصفاً ، لعن اللهُ ناقةً حملَتْني

---

(١) أثبت المختصر إلى جانب البيت ما نصه : « السامد : اللاهي » . والبيتان من شواهد اللسان (سمد) .

(٢) نقبت : أي رقَّت أخفافها . اللسان (نقب) .

(٣) في الأصل : « واخفضها بهلت » وهو تصحيف ، صحح ابن منظور الأولى في الهامش وصححتُ الثانية من التاريخ والجليس الصالح الكافي ٣٩٧/٢ الذي نقل عنه ابن عساكر الخبر كما في سنده . والسبت : بكسر السين وسكون الموحّدة : جلود البقر المدبوغة بالقَرَظ ، تُحذى منه النعال السبتية . والهُلْب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي يخرز به ، الواحد هُلْبة . خزانة الأدب ٦٣/٤ بتحقيق هارون (١٠١/٢ ط بولاق) .

(٤) أنجد : إذا أخذ في بلاد نجد . والبَرْدان : العصران ، وكذلك الأبردان وهما الغداة والعشي . المصدر السابق ٦٣ ، ٦٤ .

(٥) كذا في الأصل والجليس ٣٩٧/٢ ، ولا يستقيم لأنه عزاه لفضالة في أول الخبر ؛ وهذا يؤكد اضطراب الرواة في عزو الخبر والأبيات ، فقد عُزي أيضاً لمعن بن أوس ، ولعبد الله بن فضالة ، ولعبد الله بن الزُّبير الأسدي ، =

إليك . فقال ابنُ ، الزُّبير : إنَّ وراكبَها ـ يُريد نعَمْ وراكبها ـ فانصرف ابن فَضَالة وهو يقول : [من الوافر]

أقـــولُ لغِلْمتي شُـــــدُّوا ركابي ... أفـــارقُ بَطْنَ مكَّـــــةَ في سـوادِ
فـــا لي حين أقطَـــعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابن الكاهليَّـــــةِ من مَعَـــادِ
سَيُبعِـــدُ بيننـــا نَصٌّ المطـــايـــا ... وتعليـــقُ الأداوَى والْمَـــزَادِ[1]
[١١٥/ب] وكلُّ مُعَبَّدٍ قـد أعْلَمَتْـهُ ... مَنَـــاسِمُهُنَّ طَـلاَّعَ النِّجـــادِ[2]
أرى الحـاجـاتِ عنـد أبي خُبَيْبٍ ... نكِـــدْنَ ولاأُميَّـــةَ بـــالبـلاد[3]
من الأعيـــاصِ أو من آلِ حَرْبٍ ... أغرَّ كَغُرَّةِ الفرسِ الجـــــوادِ[4]

الكاهليَّة : إحدى جدَّات ابن الزبير ، فقال : علم أنها ألأمُ أمهاتي فسبَّني[5] بها .

وأبو خُبيب : عبد الله بن الزُّبَير ، كان يُكنى أبا خُبيب وأبا بكر .

مرَّ فضالة بن شَريك بعاصم بن عمر بن الخطاب وهو مُتبَذِّلٌ بناحية المدينة ، فنزل به ، فلم يُقْرِهِ شيئاً ولم يبعثْ إليه ولا إلى أصحابه بشيء ، وقد عرَّفوهُ مكانهم ، فارتحلوا عنه

= ولأعرابي . وبعضهم يزعم أن ابن الزُّبير هذا اسمه عبد الله بن فضالة . انظر الأغاني ١٦٢/١٠ ط بولاق ، والتاريخ في ترجمة عبد الله بن الزُّبير ص ٥٠٩ وخزانة الأدب ٦٥/٤ ، ٦٦ بتحقيق هارون ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠٣/٤ ، ١٠٤ والإصابة في ترجمة فضالة ، وعيون الأخبار ١٤٠/٣ .

(١) نص المطايا : ضرب من السير في ظهور وارتفاع . (الجليس ٣٩٩/٢) وفي اللسان : السير الشديد والحث . والأداوى : جمع إداوة ، وهي المطهرة .

(٢) قال البغدادي في الخزانة ٦٦/٤ : « والطريق المعبد ، من التعبيد ، وهو التذليل . والمناسم : جمع منسم كمجلس ، طرف خف الإبل . وطَلاَّع : حال من ضمير المطايا ، جمع طالعة . والنِّجاد : بكسر النون جمع نجد » .

(٣) قال البغدادي : « على أن التقدير إما : ولا أمثال أمية في البلاد ، وإما : ولا أجواد في البلاد ، لأن بني أمية قد اشتهروا بالجود » . وقوله : « بالبلاد » كذا الأصل والتاريخ (س) ، وفي ترجمة عبد الله بن الزبير والخزانة « في البلاد » .

(٤) الأعياص : هم من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . الخزانة ٦٤/٤ بتحقيق هارون ١٠١/٢ ط بولاق .

(٥) في الأصل : « فنسبني » وكذا في التاريخ (س) ١١٠/١٤ ب ، وهو تصحيف ، وما أثبتُّه من التاريخ (د) والجليس الصالح الكافي ٣٩٨/٢ . وفي شرح المفصل ١٠٤/٢ : « فعيرني بها » .

والتفت فَضَالة إلى مولًى لعاصم فقال : قل له أمْ والله لأُطَوِّقَنَّكَ طوقاً لا يبلى . فقال يهجوه : [من الطويل]

ألا أيها الباغي القِرى لستَ واجداً ... قِراكَ إذا مابتَّ في دار عاصمِ
إذا جئتَهُ تبغي القِرى بات نائماً ... بَطِيناً وأمسى ضيفُهُ غيرَ طاعمِ
فدَعْ عاصماً أفٌّ لأفعالِ عاصمٍ ... إذا حصَّلَ الأقوامُ أهلَ المكارمِ[1]
فَتًى من قُريشٍ لا يجودُ لسائلٍ ... ويحسبُ أنَّ البخلَ ضَرْبةٌ لازمِ
ولولا يدُ الفاروقِ قلَّدْتُ عاصماً ... مُطَوَّقةً يُحْدَى[2] بها في المَوَاسمِ
فليتكَ مِنْ جَرْمِ بنِ ربَّان أو بني ... فُقَيْمٍ أوِ النَّوْكى أبانَ بنِ دارمِ
أُناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بيوتَهم ... غدا جائعاً غَيْلانَ ليس بغانمِ[3]

فلما بلغت أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو بالمدينة فعاذ فضالةُ بن شريك بيزيد بن معاوية ، وعرَّفه ذنبَهُ وماتخوَّف منه ، فأعاذَهُ وكتب إلى عاصم يخبرهُ أنَّ فضالة أتاهُ مستجيراً به ، وأنه يجب أنْ يَهبَهُ له ولا يذكر لمعاويةَ شيئاً من أمره ، ويضمن له أن لا يعودَ لهجائه . فقبل ذلك عاصم ، وشفَّع يزيدَ بن معاوية ، وامتدح فضالةُ يزيد بأبيات .

[١١٦/آ] ١٠٤ ـ فَضَالةُ بن عُبَيْد بن نافِذ[4] بن قيس بن صُهَيب بن الأَصْرم

أبو محمد الأنصاري

من أصحاب سيدنا رسولِ الله ﷺ الذين بايعوه تحت الشجرة ولأَهُ معاويةُ على الغُزَاة ، وولاَّه قضاء دمشق ، وكان خليفة معاوية على دمشق إذا غاب عنها .

---

(١) في اللسان (حصل) : حصَّلتُ الأمر : حقَّقتُه وأبنته . وفي الأساس : مضى الكرام فحصلتُ بعدهم على ناس لئام .

(٢) كذا في الأصل والتاريخ وفي الأغاني « يحزى » وهو أشبه بالصواب .

(٣) غيان : عطشان . القاموس (غيم) . والخبر والأبيات في الأغاني ١٠/١٧١ ، ١٧٢ ط بولاق .

(٤) في الأصل : « نافد » بالدال المهملة ، وقد اضطرب إعجامه في سياق ترجمته عند ابن عساكر ، وأثبتُّ ما عليه أكثر المحققين . انظر مصادر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣/١١٣ والاستبصار ص ٣١٦ .

حدّث فضالة أنّ رسولَ الله ﷺ قال :

مَنْ مات على مَرْتَبَةٍ مِنْ هذه المراتب بُعث عليها يومَ القيامة .

قال حَيْوَةُ بن شُريح : رباطُ حجٍّ ونحو ذلك .

وعن فضالة بن عُبيد قال : قال رسولُ الله ﷺ :

ثلاث هَنَّ الفواقر : إمامٌ إنْ أحسنتَ لم يشكر ، وإنْ أسأت لم يغفر ؛ وجارٌ إنْ رأى خيراً دفنه ، وإنْ رأى شرّاً أشاعه ؛ وامرأةٌ إنْ حضرتْك آذتْك ، وإنْ غبتَ خانَتْك .

زاد في حديث موقوف :

خانَتْك في مالكَ ونفسِها .

وشهد فضالةُ بن عُبيد أُحُداً والخندق ، والمشاهد كُلَّها مع رسولِ الله ﷺ ، وخرج إلى الشام ولم يزَلْ فيها حتى مات هناك . وشهد فتح مصر ، وولي بها القضاء والبحر لمعاوية ، وتوفي بدمشق سنة ثلاثٍ وخمسين ويُقال : إنَّ بها ولده اليوم ، وقد كان غزا المغرب مع رُويفع بن ثابت .

قال عبد الله محمد بن المكرم مختار هذا الكتاب :

هذا رُويفع بن ثابت جدّي الذي أنتسبُ إليه ، رحمه الله .

ويقال : مات سنةَ ثلاثٍ وخمسين[1] . ويقال سنة سبعٍ وخمسين . وقيل سنة تسع وخمسين .

قال فضالة بن عُبيد :

لما كان اليوم الذي قدم فيه رسولُ الله ﷺ قُبَاء لقيناه نفر من صرطه[2] ونحن غلمان نحتطب ، فأرسلنا إلى أهلنا وقال : قولوا قد جاء صاحبُكم الذي تنتظرون . قال : فخرجنا إلى أهلنا فأخبرناهم ، وأقبل القوم .

---

(١) في الأصل : « تسع وخمسين » وهو وَهْم ، لأن المختصر أثبتها في هذا السطر نفسه بصيغة التريض ، وما أثبتُّه من التاريخ ومصادر ترجمة فضالة .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (س ، د) وفي رواية أخرى : « نفر بن ضرطة » وإلى جانب السطر (ط) ، ولم أقف عليه .

زاد في غيره بمعناه : وكان يومئذٍ ابن ست سنين .

ومات رسول الله ﷺ وهو ابنُ سبع عشرة سنة . والذي ذُكر من أنه شهد أحداً والخندق هو الصواب .

وشهد فَضَالةُ بيعةَ الرضوان [١١٦/ب] وكان أصغرَ مَنْ شهدها .

وقال معاويةُ ـ حين هلك فَضالةُ بن عُبيد وهو يحمل نَعْشَهُ ـ لابنه عبد الله بن معاوية : تعالَ اعْقُبْني فإنك لَنْ تحمل مثلَهُ أبداً .

وروى جابر أنّ النبيّ ﷺ قال :

لَيدخلَنَّ الجنة مَنْ بايع تحت الشجرة .

قال القاسم أبو عبد الرحمن :

غزونا مع فضالة بن عُبيد ، ولم يغزُ فَضَالة في البَرِّ غيرها ، فبينا نحن نسير أو نسرع في السير وهو أمير الجيش ـ وكانت الولاةُ إذْ ذاك يستعون ممّن استرعاهم الله عليه ـ فقال قائل : أيُّها الأمير ، إنّ الناس قد تقطَّعوا ، قفْ حتى يلحقوك . فوقف في مَرْجٍ عليه قلعة ، فيها حصن ، فنا الواقف ومنا النازل إذا نحن برجل ذي شوارب أحمر بين أظهرنا فأتينا به فضالة فقلنا : إنّ هذا هبط من الحصن بلا عهدٍ ولا عَقْد ، فسأله فضالة ما شأنه ؟ فقال : إني البارحة أكلتُ الخنزير وشربتُ الخمر فبينا أنا نائم أتاني رجلان ، ففسلا بطني ، وجاءتني امرأتان لا تفضّل إحداهما على الأخرى فقالتا : أسْلِمْ ؛ فأنا مسلم . فما كانت كلمتُه أسرع من أنْ رُمينا بالزُّبْر[1] ، فأقبل يَهْوي حين أصابه فدقّ عُنقه ، فقال فضالة : الله أكبر ! عمل قليلاً وأُجر كثيراً ، صَلُّوا على صاحبكم ، فصلّينا عليه ودفنّاه .

قال القاسم : هذا شيءٌ أنا رأيته .

سأل رجلٌ فَضالة بن عُبيد أنْ يكتبه في أصحابه حين وَلي ، فلم يُجبْه ، فقال له الرجل : أتمنعني ذلك وقد انقطعتُ إليك ورغبتُ في قربك ؟! فقال فَضالة : امْحُوهُ من

---

(١) الزُّبْر : الحجارة . اللسان .

عمل الله واكتبوهُ في عُمّال فضالة . فأنكر الرجل ذلك ، فقال فضالة : هو على ذلك ، تُدعون وتُحشرون يوم القيامة مع مَنْ كنتم تعملون .

حدث أبو مكينة[1] قال : قال فَضالةُ بن عُبيد صاحبُ رسولِ الله ﷺ :

خذ هذا المصحف ، فأمسك علي ولا تردَّ عليَّ ألفاً ولا واواً فإنه سيكونُ قوم لا يسقطون ألفاً ولا واواً . ثم رفع فَضالةُ يديه فقال : اللهمَّ لا تجعَلْنا منهم[2] .

[١١٧/أ] كان أبو الدرداء يقضي على أهل دمشق ، ولَمّا احتُضر أتاه معاويةُ عائداً له فقال : مَنْ ترى لهذا الأمر بعدك ؟ قال : فضالة بن عُبيد . فلما تُوفي أبو الدرداء قال معاوية لفضالة : إني قد ولّيتُكَ القضاء ، فاستعفى منه ، فقال له معاوية : والله ما حابَيْتُك بها ، ولكني استترتُ بك من النار ، فاستترْ منها ما استطعت .

ولما خرج معاويةُ إلى صِفّين استخلف فَضالة بن عُبيد على دمشق .

وقعت لرجلٍ مئةُ دينار فعرَّفها فقال : مَنْ وجدها فله عشرون ديناراً ، فأقبل الذي وجدها فقال : هذا مالُك فأعطني الذي جعلتَ لي ، فقال صاحب المال : كان مالي عشرين ومئة دينار ، فاختصما إلى فضالة ، فقال فضالةُ لصاحب المال : أليس كان مالك عشرين ومئة دينارٍ كما تذكر ؟ قال : بلى ، فقال للرجل الذي وجد المال : أليس الذي وجدتَ مئة ؟ قال : بلى ، قال : فاحبِسْ هذا المال ولا تدفَعْهُ إليه ، فليس بماله ، حتى يجيءَ صاحبُه .

كان فضالةُ بن عُبيد إذا أتاه أصحابُه قال : تدارسوا وأسْنِدُوا وزيدوا ، زادكُمُ اللهُ خيراً وأحبَّكم وأحَبَّ مَنْ يُحبُّكم ، رُدُّوا علينا المسائل فإنَّ أجْرَ آخرها كأجر أولها ، واخْلِطوا حديثكم بالاستغفار .

كان فَضالة بن عُبيد يقول : لأنْ أعلم أنَّ الله تقبَّل مني مثقال حبَّةٍ من خَرْدَل أحبُّ

---

(١) في الأصل بالإهمال ، وفوقها ضبة ، وما أثبتُّه من التاريخ (س ، د) . ولم أظفر بترجمة له .

(٢) إلى جانب الحديث في الأصل حرف (ط) مكرر في سطرين ، إشارة لاضطراب النص ، ولعل فيه سقطاً .

إليَّ من الدنيا وما فيها ، لأنَّ الله يقول : ﴿ إنما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقين ﴾[1] .

قال ابن مُحَيْريز :

صحبتُ فضالة بن عُبيد صاحبَ رسولِ الله ﷺ فقلت له : أوصني رحمك الله ، فقال : احفظْ عني ثلاث خلال ينفعك اللهُ بهنّ : إنِ استطعتَ أنْ تَعْرِف ولا تُعْرَف فافعل ، وإنِ استطعتَ أن تسمع ولا تكلَّم فافعل ، وإنِ استطعتَ أن تجلس ولا يُجلَسَ إليك فافعل .

كتب معاوية إلى فضالة بن عُبَيد يخطبُ ابنته على ابنه يزيد ؛ فكتب إليه : أما بعد [١١٧/ب] فقد جاءني كتابُك تخطبُ ابنتي على ابنك يزيد ، وإني كتبتُ إليكَ ببيتَيْ شعر فاعرفْها وتدبَّرْها :

فلو أنَّ نفسي طاوعتني لأصبحَتْ ... لها حَفَدٌ من ما يُعَدُّ كثيرُ
ولكنَّها نفسٌ عليَّ كريمةٌ ... عَيُوفٌ لأصهارِ اللِئامِ قَذُورُ[2]

١٠٥ ـ فضائل بن الحسن بن الفتح
أبو القاسم بن أبي محمد الأنصاري الكَتَّاني

كان يخرج إلى القرى ويقايضُ الكَتَّانَ بالغَزْل .

حدث بجامع دمشق عن سهل بن بشر بسنده إلى ابن عمر قال :

مسَّى[3] رسولُ الله ﷺ بصلاة العشاء حتى ملا[4] المصلِّي واستيقظ المستيقظ ونام النائمون وهجَد المتهجِّدون ثم خرج فقال : لولا أن أشقَّ على أمتي أمرتهم أنْ يُصَلُّوا هذا الوقت . أو هذه الصلاة ، أو نحوها .

تُوفي فضائل سنة خمسٍ وخمسين وخمس مئة .

---

(١) سورة المائدة ٢٧/٥

(٢) رُوي البيتان للنعمان بن بشير في رسالة بعث بها إلى مروان بن الحكم ردًّا على كتابه الذي يخطب فيه أم أبان بنت النعمان على ابنه عبد الملك ، وهما في ديوانه ص ١٠٢ . انظر ترجمة بشير بن أبان ٢٢٠/٥ ، ٢٢١ من هذا الكتاب .

(٣) في أساس البلاغة للزمخشري : « مسّى به الليل : إذا جاء مساءً » .

(٤) كذا في الأصل ، وفي التاريخ (س) : « صلا » وفوقها في الأصل ضبة وفي الهامش : « ظاهره نام ، وبعده في التاريخ : « ... كذا قال ، والصواب : حتى نام المصلّي » .

١٠٦ ـ الفضل بن جعفر بن الفضل بن محمد بن أحمد بن إبراهيم

أبو العباس الجوزجاني المقرئ

حدث عن محمد بن علي بن عبد الله السلمي بسنده إلى عبد الله قال : قال رسولُ الله ﷺ :

يا معشر المسلمين ، أطعموا طعامكم الأتقياء ، وأولوا معروفَكم المؤمنين .

١٠٧ ـ الفضل بن جعفر بن محمد

ابن أبي عاصم أحمد بن حمّاد بن صبيح بن زياد

أبو القاسم التيمي المؤذن الطرائفي

كان عبداً صالحاً .

حدث عن أبي شيبة داود بن إبراهيم بن روزبه بسنده إلى أبي هريرة قال :

لعن رسولُ الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم .

توفي الفضل بن جعفر سنة ثلاثٍ وسبعين وثلاث مئة .

[١١٨/أ] ١٠٨ ـ الفَضْل بن دَلْهَم الواسطي القصّاب

حدث عن ابن سيرين عن مَعْقِل بن يسار

أنَّ رجلاً من الأنصار تزوّج امرأة سقط شعرُها ، فسئل النبيُّ ﷺ ، فلعن الواصلة والمَوْصولة .

وحدث عن الحسن عن قبيصة بن حُريث عن سَلَمة بن المُحَبِّق قال : قال رسولُ الله ﷺ :

خذوا عني خذوا عني ، قد جعل الله لهنَّ سبيلاً ، البِكْرُ بالبِكْر ، جَلْدُ مئة ونَفْيُ سنة ، والثيِّب بالثيِّب ، جَلْدُ مئة والرَّجْم .

قال فضلٌ بن دَلْهَم :

كنَّا نتعلَّم المروءةَ في عسكر هشام بن عبد الملك كما يتعلَّم الإنسان القرآن .

قيل : إنه شاعرٌ معتزلي ، وحديثه صالح . وقيل : إنه في القلب من أحاديثه شيء .

١٠٩ ـ الفضل بن سهل بن بِشْر بن أحمد بن سعيد

أبو المعالي بن أبي الفرج الإسْفَراييني

الواعظ المعروف بالأثير

ولد بتِنِّيس[١] ونشأ بدمشق ورحل عنها إلى حلب ، ووعظ بها ، وكان يُعرف ببغداد بالأثير الحلبي ، وكان له خط [حسن] وكان يتطفَّلُ بالرِّيّ[٢] .

حدث عن الشيخ أبي الفرج سهل بن بشر بن أحمد الإسْفَراييني بسنده إلى أنس بن مالك ـ ولي كلّ شيخ يقول : وعدَّهنّ في يدي ـ قال أنس : عدَّهن في يدي رسولُ الله ﷺ قال :

عدَّهنّ في يدي جبريل قال : عدَّهنّ في يدي ميكائيل قال : عدَّهنّ في يدي إسرافيل قال : عدَّهنّ في يدي ربُّ العالمين جلّ جلالُه قال لي : اللهمّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم ، إنَّك حميدٌ مجيد ؛ اللهمّ باركْ على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم ، إنَّك حميدٌ مجيد ؛ اللهمّ ارحَمْ محمداً وآلَ محمد كما رحمتَ إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميدٌ مجيد ؛ اللهمّ تحنَّنْ على محمدٍ وعلى آلِ محمد كما تحنَّنْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

وُلد أبو الفرج سنة إحدى وستين وأربع مئة ، ومات ببغداد .

---

(١) تِنِّيس : جزيرة في بحر مصر ، قريبة من البر ، ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقيها . انظر معجم البلدان ٥١/٢ .

(٢) عبارة ابن عساكر : « .. وكان يتطفل بالري أو ببعض بلاد العجم على سكان الخان الذي ينزل فيه حتى لُقب ... » . التاريخ (س) ١١٦/١٤ ب . وكذا (د) وما بين معقوفين منه .

[١١٨/ب]

١١٠ ـ الفضل بن سهل بن محمد بن أحمد
أبو العباس المَرْوزي الصفَّار

حدث بدمشق وروى عن أبي عمرو لاحق بن الحسين بن عمران بن أبي الوَرْد الأندلسي بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسولُ الله ﷺ :

اطلبوا العلم يوم الاثنين فإنه يُيَسَّرُ لطالبه .

١١١ ـ الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطَّلب بن هاشم
ـ أظنُّه أبو العباس الهاشمي ـ

ولي إمرة دمشق في خلافة المنصور .

حدث عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن النبيِّ ﷺ قال :

سيكونُ بعدي فتن يصطلم فيها العرب ، اللسان فيها أشدُّ من السيف ، قتلاها جميعاً في النار .

ولد الفضل سنة اثنتين وعشرين ومئة .

ولي الفضلُ دمشق سنة تسعٍ وأربعين تسعَ سنين . وهو الذي عمل الأبواب للمسجد والقبَّة التي في الصحن وتُعرف بقبَّةِ المال . وتوفي الفضل سنة اثنتين وسبعين ومئة .

١١٢ ـ الفضل بن العباس بن عبد المُطَّلِب بن هاشم
أبو عبد الله ويقال أبو العباس ويقال أبو محمد الهاشميّ
ابن عمِّ سيِّدنا رسولِ الله ﷺ ورديفُه

قدم الشام مجاهداً فهلك به . واختُلف في الوقت والموضع الذي أصيب به ، فقيل : إنه قُتل بمَرْج الصُّفَّر ، وقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك . والأظهر أنه مات في طاعون عَمَواس[1] .

---

(١) مضى تعريف عمواس ص ٢٠ ح ١ ، وانظر ص ٢٧٩ في المتن من هذا الجزء .

حدث الفضل بن عباس ـ وكان رديفَ رسولِ الله ﷺ ـ أنه قال في عشيّة عَرَفة وغداةَ جَمْعٍ الناس حين دفعوا :

عليكم السكينة . وهو كافٌّ ناقتَه حتى دخل مُحَسِّراً ـ وهو من منى قال : عليكم بحَصَى الخَذْف [١١٩/أ] الذي يُرمى به الجَمْرة . وقال : لم يزلْ رسولُ الله ﷺ يُكَبِّر حتى رمى الجَمْرة .

زاد في غيره : والنبيُّ ﷺ يُشير بيده كما يخذِفُ الإنسان .

حدث الفضل بن عباس قال :

جاءني رسولُ الله ﷺ مَوْعوكاً قد عصب رأسه فقال : خُذْ بيدي . فأخذتُ بيده ، فأقبل حتى جلس على المنبر ثم قال : نادِ في الناس . فصحتُ في الناس ، فاجتمعوا إليه ، فقال : أمَّا بعدُ أيُّها الناس ، فإني أحمَدُ الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، ألا فإنه قد دنا مني حُقوق من بين أظْهُرِكم ، فَمَنْ كنتُ جلدتُ له ظَهْراً فهذا ظهري فَلْيستقِدْ منه ، ومَنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضاً فهذا عِرضي فليستقِدْ منه ، ومَنْ كنتُ أخذتُ له مالاً فهذا مالي فَلْيأخُذْ منه ، ولا يَقُلْ رجلٌ إني أخشى الشحناء من قِبَل رسولِ الله ﷺ ، ألا وإنَّ الشحناء ليستْ من طبيعتي ولا من شأني ، ألا وإنَّ أحبَّكم إليَّ مَنْ أخذ حقاً إنْ كان له ، أو حلَّلني فلقيتُ الله تعالى وأنا طيِّبُ النفس ، وقد أرى أنَّ هذا غير مُغْنٍ عني حتى أقومَ فيكم مِرَاراً .

قال الفضل : ثم نزل فصلَّى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى وغيرها ، فقام رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ، إنَّ لي عندك ثلاثةَ دراهم ، فقال أمَا إنَّا لا نكذِّبُ قائلاً ولا نستحلفُه على يمين ، فبم كانت لك عندي ؟ فقال : يا رسولَ الله ، تذكر يومَ مرَّ بك المسكين فأمَرْتني فأعطيتُه ثلاثة دراهم . فقال : أعطِه يا فَضْل . فأمر به فجلس ، ثم قال : يا أيُّها الناس ، مَنْ كان عنده شيءٌ فَلْيُؤَدِّه ، ولا يَقُلْ رجل : فَضُوح الدنيا ، فإنَّ فُضوحَ الدنيا أيسَرُ من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله ، عندي ثلاثةُ دراهم غَلَلْتُها في سبيلِ الله ، قال : ولِمَ غَلَلْتَها ؟ قال : كنتُ إليها محتاجاً . قال : خُذْها منه يا فضل . ثم قال : أيُّها الناس ، مَنْ خشي من نفسه شيئاً فليقُمْ أدْعُ له . فقام رجلٌ فقال : يا رسول الله ، إني لكذَّاب ، وإني لفاحش ، وإني لنَؤوم . فقال : اللهمَّ ارزقْهُ صدْقاً وأذهِبْ عنه النَّوم إذا أراد . ثم قام آخر فقال : والله يا رسولَ الله ، إني لكذَّاب ، وإني لمنافق [١١٩/ب] وما من شيءٍ من الأشياء إلا قد جئتُه . فقام عمر بن

الخطاب فقال : فضحتَ نفسَك أيُّها الرجل . فقال النبيُّ ﷺ : يابن الخطاب ، فُضُوح الدنيا أهوَنُ من فُضوح الآخرة ، اللهمَّ ارزُقْهُ صِدْقاً وإيماناً ، وصيِّرْ أمْرَه إلى خير . فقال عمرُ كلمةً فضحك رسولُ الله ﷺ ثم قال : عمر معي وأنا مع عمر ، والحقُّ بعدي مع عمر حيثُ كان .

وعن الفضل عن رسولِ الله ﷺ أنه قال :

الصلاة مثنى ، وتشهَّدْ مستقبلاً في كلِّ ركعتين ، وتضرَّعْ وتخشَّعْ وتَمسْكَنْ ثم تُقْنِعُ يديك ـ يقول ترفعهما ـ إلى ربِّك مستقبلاً بطونَهما وجُهَك وتقول : يا رب ! يا رب ! يا رب ! مَنْ لم يفعل ذلك فهي خِدَاج .

وفي رواية : صلاةُ الليل مثنى مثنى .

وشهد الفَضْلُ غسلَ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ ، واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر الصدِّيق يوم أجْنادِين[1] ويُقال : يوم مَرْجِ الصُّفَّر[2] ستةَ ثلاثَ عشرةَ . ويقال يوم اليرموك في خلافة عمر سنة خمس عشرة ، وقيل مات في طاعون عَمَواس[3] ، وعمواس قريةٌ من قرى الشام ، وقيل إنما هي عَرْب سُوس . وقيل : مات سنة ثمان عشرة[4] . وكان غزا مع رسولِ الله ﷺ مكة وحُنَيناً ؛ وثبت يومئذٍ مع رسولِ الله ﷺ حين ولَّى الناس منهزمين فمن ثبتَ معه من أهل بيته وأصحابه ، وشهد معه حجَّةَ الوداع وأرْدَفه رسولُ الله ﷺ ، وكان فيمن غسَّل رسولَ الله ﷺ وتولَّى دفْنَه . وكان أسنَّ ولدِ العباس وأمُّه أمُّ الفضل ، واسْمُها لُبابة بنت الحارث بن حَزْن ، وكانت أمُّ الفضل أولَ امرأةٍ أسلمتْ بمكة بعد خديجةَ رضي الله عنها .

قال الهيثم بن عدي :

تُوفي الفضل بن العباس سنةَ ثمانٍ وعشرين قبل أبيهِ بأربع سنين .

---

(١) أجنادِينَ : بكسر الدال وفتح النون ـ بلفظ الجمع ـ ويقال : بلفظ التثنية ، بفتح الدال وكسر النون : موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين . انظر معجم البلدان ١٠٣/١ ، والتاج (جند) . وموقعه شرقي يافا ، إلى الشمال الغربي من القدس .

(٢) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان . انظر معجم البلدان ٤١٣/٣ .

(٣) مضى تعريف عمواس ص ٢٠ ح ١ من هذا الجزء .

(٤) انظر ص ٦٤ ح ١ من هذا الجزء .

وقيل : تُوفي قبل أبيهِ بستٍّ عشرةَ سنة . وقيل : تُوفي وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة .

وعن عليٍّ عليه السلام قال :

أَرْدَفَ - يعني - النبيُّ ﷺ الفضلَ - يعني[1] - يومَ النحر ، ثم أتى الجَمْرَة [١٢٠/أ] فرماها ، ثم أتى المَنْحَر فقال : هذا المَنْحَر ، ومِنَى كلُّها مَنْحَر واستَفْتَتْهُ جاريةٌ شابَّةٌ من خثعم فقالت : إنَّ أبي شيخٌ كبير قد أُفنِد ، وقد أدركَتْهُ فريضةُ الله عزَّ وجلَّ في الحج ، فيُجْزِئُ أنْ أحجَّ عنه ؟ فقال : حجِّي عن أبيك . ولوى عُنقَ الفضل ، فقال له العباس : لَمْ لوَيْتَ عنقَ ابنِ عمِّك ؟ قال : رأيتُ شابًّا وشابَّةً فلم آمَنِ الشيطانَ عليهما .

وعن ابن عباس قال :

كان الفضلُ أكبرَ مني فكان يردفني وأكونُ بين يديه .

قال : كان ابنُ عباس في سفره إلى الشام يُطعم طعامَه ، ويأمر فيتصدَّق بفَضْلَته ، وإذا سار تعجَّل على فرسه حتى يسبقَ ثَقَلَهُ ورُفقاءَه ، ثم لا يزالُ يصلِّي حتى يلحقوا به ، وهو مُطَوِّلٌ لفرسه ، وفرسه ترعى وعنانُه في يده ؛ وكان يجدِّدُ الوضوء لكلِّ صلاةٍ مكتوبة ، وينامُ من أوَّل الليل ، ثم يقوم فيصلِّي إلى وقت الرحيل . وإذا مرَّ بركبٍ من المسلمين سلَّمَ عليهم . فأتاهُ مولًى له وقد نالَ الناسَ الطاعونُ فقال : بأبي أنت وأُمي لو انتقَلْتَ إلى مكان كذا وكذا ، فقال : والله ماأخافُ أن أسْبِق أجلي ولا أُحاذِرُ أنْ يغلط بي ، وإنَّ مَلَكَ الموت لبصيرٌ بأهل كلِّ بلد .

نفق فرسٌ لرجلٍ مع الفضل بن عباس في رُفْقَته ، فأعطاهُ فرَساً كان يُجنَبُ له[2] ، فعاتبه بعض المُتَنصِّحين إليه فقال : أبتبخيلي تتنصَّحُ إلي !؟ إنه كفى لؤماً أنْ يَمنعَ[3] الفضل ويتركَ المواساة ، والله ما رأيتُ الله حمد في كتابه إلاَّ المؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصَاصة .

ولم يتركِ الفضلُ ولداً ذكراً ولم يُولد له إلاَّ أمُّ كلثوم .

---

(١) وردت كلمة « يعني » في غير ما موضع من الكتاب ، وكثيراً ما يَثبتها المحدِّثون في سياق الكلام حينما يعتريه سقط يجوز على أحدهم أو يسهو عنه ، ثم يفطن له آخَرُ بعدَه ، فيُلْحقُ الساقط من موضعه من الكتاب بعد كلمة « يعني » . انظر الكفاية ص ٢٥٢ ، ٣٥٣ ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) يُجنب : أي يقاد إلى جانبه .

(٣) الفتحة فوق الياء من الأصل .

١١٣ ـ الفضل بن العباس بن عُتْبَة بن أبي لَهَب
واسمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب ، واسْمُهُ شَيْبَةُ بن هاشم
ابن عبد مَناف الهاشميُّ اللَّهَبيُّ المكّي

شاعر مشهور وفد على معاوية بن أبي سفيان ، وعلى عبد الملك بن مروان .

قال معاوية يوماً وعنده عبدُ الله بن جعفر ، وعبد الله بن عباس ، والفضل بن عباس بن أبي لهب : إنَّ بابي لكم لمفتوح ، وإنَّ خيري لكم لَمَنوح [١٢٠/ب] فلا تقطعوا خيري عنكم ، ولا بابي دونكم ، فقد نظرتُ في أمري وأمركم ، فرأيتُ أمراً مختلفاً ، إنكم ترونَ أنَّكم أحقُّ بهذا الأمر مني وأنا أحقُّ بهِ منكم ، فإذا أعطيتكم بعضَ حقوقكم قلتم أعطانا أقلَّ من حقِّنا ، وقصَّر بنا دون منزلتنا فصرتُ كأني مسلوب ، والمسلوبُ لا حقَّ له ، فبئس المنزلةُ نزلتُ بها منكم ، ونعم المنزلةُ نزلتم بها مني . قال له عبد الله بن عباس : ماهاهنا مسلوبٌ غيرنا ، إذْ كان الحقُّ حقَّنا دون الناس ، ووالله مامنحتنا شيئاً حتى سألناك ، ولا فتحتَ لنا باباً حتى قَرعْناه ، ولئنْ قطعتَ خيرك عنا إنَّ الله عزَّ وجلَّ لأرحم بنا منك ، ولئنْ غلقتَ بابك عنا لنكرمنَّ أنفسنا عنك ، والله ماسألْنا قطُّ عن خَلَّة ، ولا أحْفَيْنا في مسألة ، وإنَّ من ضَعَةِ الدين وعظيمِ الفتنة في المسلمين قرعنا بابك وطلبنا ما في يدك ؛ فأمَّا هذا الفَيْءُ فليس لك منهُ إلاَّ مالرجلٍ من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقَّان : حقُّ الفَيْء وحقُّ الخُمُس ، فالفيء ماجُبِّي ، والخُمُس ماغُلب عليه ؛ فعلى أيِّ الوجوه جرى منك أخذناهُ وحمِدْنا الله عليه ، ثمَّ لَمْ يُخرجْك اللهُ من خيرٍ جرى على يديك ، ولولا حقُّنا في هذا المال لم نأتِك . فقال معاوية : كفاك كفاك . وخرج القوم فأنشأ الفضل بن العباس بن أبي لَهَب يقول : [من الوافر]

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ صخرٍ ... فإنَّ المَرْءَ يعلم ما يقولُ
لنا حقَّانِ حقُّ الخُمْسِ جارٍ ... وحقُّ الفَيْءِ جاء به الرسولُ
فكلُّ عطيَّةٍ وصلَتْ إلينا ... وإنْ سُحبتْ لِطالبِها[1] الذُّيُولُ

---

(١) كذا في الأصل والتاريخ (د ، س) وفي أنساب الأشراف « لخدعتها » وفي أخبار الدولة العباسية « بخدعتها » .

أُتيح له ابنُ عباسٍ مُجيباً ... فلم يدرِ ابنُ هندٍ ما يقولُ
فأدركه الحياءُ فصدَّ عنهُ ... وخَطْبُهما إذا ذُكرا جليلُ[1]

وأمُّ الفضل أميَّة بنت العباس بن عبد المطلب ، وهي لأمٍّ ولد سَوْداء [١٢١/آ] ولذلك يقول الفضل : [من الرمل]

كلُّ حيٍّ صِيْغَةٌ من تِبْرِهم ... وبنو عَبْدِ مَنَافٍ من ذهَبْ[2]
إنما عبدُ مَنَافٍ جَوْهَرٌ ... زيَّنَ الجَوْهَرَ عبدُ المُطَّلِبْ
فأنا الأخضرُ مَنْ يعرفني ... أخْضَرُ الجِلْدَةِ في بيتِ العرَبْ
مَنْ يُساجِلْني يُساجِلْ ماجداً ... يملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَب[3]
قصَدُوا قومي وساروا سيرةً ... كلَّفوا مَنْ سارها جَهْدَ التَّعَبْ

قال محمد الكلبي :

لم يكن أحدٌ من بني هاشم أكثرَ غِشْياناً لمعاوية من عبد الله بن العباس ؛ فوفد إليه مرَّةً وعنده وفود العرب فأقعَده على يمينه ثم أقبل عليه فقال : نشدتُكَ بالله يا ابن عباس أنْ لو وليتمونا آتيتم إلينا ماآتينا إليكم من الترحيب والتقريب ، وعطائكم الجزيل وإكرامكم عن القليل ، وصبرتُمْ على ما صبَرْنا عليه منكم ؟ إني لآتي إليكم معروفاً إلاَّ صغَّرْتُموه ! أعطيكم العطيَّةَ فيها قضاءُ حقوقكم فتأخذونها متكارهينَ عليها ، يقولون[4] : قد نقص حقَّنا وليس هذا تأميلنا . فإني آملُ بعد ألفِ ألف أعطيها الرجل منكم ، ثم أكونُ أسَرَّ بإعطائها منه بأخْذها ، والله لقد اخدعتُ لكم في مالي وذلَلْتُ لكم في عِرْضي ، أرى اخداعي تكرُّماً وذُلِّي

---

(١) الخبر والأبيات في أنساب الأشراف للبلاذري الجزء الأول القسم الرابع ص ١١١ ـ ١١٣ وأخبار الدولة العباسية ص ٥٤ ـ ٥٦ بخلاف في اللفظ لم أشر إليه وزيادة في الأبيات .

(٢) التبر : الذهب المكسور ، أو هو من جميع جواهر الأرض قبل أن تصاغ . والبيت في اللسان (تبر) والثلاثة في نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٩٠ والأبيات عدا الأخير في الأغاني ١٧٨/١٤ ط بولاق .

(٣) يساجلني : يفاخرني . والكرب : الحبل الذي يُشد على الدلو ثم يُثنى ثم يثلث ليكون هو الذي يلي الماء . اللسان (كرب) .

(٤) كذا في الأصل بالياء ، ولعل الصواب « تقولون » .

حِلْماً ، ولو وليتمونا رضينا منكم بالإنصاف ، ثم لانسألكم أموالكم لعلمنا بحالنا وحالكم ويكون أبغضُ الأمور إلينا أحبَّها إليكم ؛ قل يا ابنَ عباس . فقال ابنُ عباس : ولو ولينا منكم مثلَ الذي وليتُم منا اخترنا المواساة ، ثم لم يَعِشِ الحيُّ بشتم الميت ، ولم يُنْبَشِ الميِّت بعداوةِ الحيّ ، ولأعطينا كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه ؛ فأمَّا إعطاؤكم الرجل منا ألفَ ألف فلستم بأجودَ منا أكفًّا ، ولا أسخى منّا نفساً ، ولا أصونَ لأعراضِ المروءةِ وأهداف الكرم ، ونحن أعطى في الحقّ منكم على الباطل ، وأغضى على التقوى منكم على الهوى ، فأمَّا رضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتم بهِ منا لَمْ نرضَ لأنفسنا بذلك [١٢١/ب] والكفاف رضى مَنْ لاحقَّ له ، فلو رضيتم به منا اليوم فأقبلتمونا عليه أمس ، فلا تستعجلونا حتى تسألونا ، ولا تلفظونا حتى تذوقونا . فقال الفضل : [من الطويل]

وقال ابنُ حربٍ قولةً أمويَّةً ... يُريدُ بما قد قال تفنيشَ هاشمِ :[1]
أجبْ يا ابن عباسٍ تراكم لَوَ انّكم ... ملكتم رقابَ الأكرمين الأكارمِ
أتيتم إلينا ما أتينا إليكُمُ ... من الكفِّ عنكم واجتباء الدراهمِ
فقال ابنُ عباسٍ مقالاً أمَضَّهُ ... ولم يكُ عن ردِّ الجوابِ بنائمِ :
نعَمْ لو ولينا كم عدَلْنا عليكم ... ولم تشتكوا منا انتهاكَ المحارمِ
ولم يُعْتَمَدْ للحيِّ والمَيْتِ غُمَّةٌ ... يُحَدِّثُها الرُّكبانُ أهْلَ المواسمِ[2]
ولم نعطكم إلاّ الحقوقَ التي لكم ... وليس الذي يُعطي الحقوقَ بظالمِ
وما ألفُ ألفٍ تستميلُ ابنَ جَعْفَرٍ ... بها يا ابن حربٍ عند خَزِّ الغلاصمِ[3]
وأصبح يرمي مَنْ رماكم ببغضِهِ ... عدوِّ المعادي سالماً للمسالمِ
فأعظِمْ بما أعطاك من نُصْحِ جَيْبِهِ ... ومن أمرِ غَيْبٍ ليس فيه بنادمِ[4]

---

(١) فنّش الرجل في الأمر : استرخى ؛ وفنش عنه : خام ، أي نكص وجبن . اللسان (فنش ، خيم) . وفي التاريخ (د ، س) : « تفتيش » .

(٢) يُعتد : يُقصَد . الغُمّة : الكَرْب ؛ وأمْرٌ غُمّة : مجازها : ظلمة وضيق وهمّ . اللسان (عمد ، غم) . وفي التاريخ (د ، س) : « غيه » . وعجز هذا البيت قاله عدي بن حاتم في مقطّعةٍ له . انظر الجليس ٤٠٩/١ .

(٣) فوق اللفظة في الأصل ضبة ، وإلى جانب البيت في الهامش « الحلاقّ » . وهي رواية التاريخ في (د ، س) .

(٤) يقال : فلان ناصح الجيب ، يُعنى بذلك قلبَه وصدره ، أي هو أمين . اللسان (جيب) .

خرج عليٌّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللَّهَبي إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك بن مروان يوماً راكباً على نجيب ، ومعه حادٍ يحدو به ، وعلي بن عبد الله على يساره على نجيبٍ له ومعه بغلةٌ تُجْنَب ، فحدا حادي عبد الملك به :

[من مشطور الرجز]

يـــاأيُّهـــا البَكْرُ الـــذي أراكا
عليـك سَهْـلُ الأرض في مَمْشـاكا
وَيْحَـــكَ هـــل تعلَمُ مَنْ عـــلاكا
إنَّ ابن مروانَ على ذُرَاكا
خليفـــةُ الله الـــذي امتطـــاكا
لم يَعْـــلُ بَكْراً مثـــل مـــاعـــلاكا

فعارضَهُ الفضل اللَّهَبيّ ، فحدا بعليٍّ بن عبد الله بن عباس فقال : [من مشطور الرجز]

يـــاأيُّهـــا الســـائـــلُ عن عليٍّ
ســـألتَ عن بـــدرٍ لنـــا بَـــدْريِّ
أغلبَ في العليـــــاء غَـــلاَّبيِّ
ولَيِّنِ الشِّيـــــةِ هـــــاشميِّ
جـــــاء على بَكْرٍ لَـــــهُ مَهْرِيِّ

[١٢٢/آ] فنظر عبد الملك إلى علي فقال : هذا مجنونُ آلِ أبي لَهَب ؟ قال : نعم . فلما أعطى قريشاً مرَّ به اسمُه فحرمَهُ وقال : يُعطيه عليٌّ[1] .

لقي الأحوص الشاعرُ الأنصاري الفضلَ بن العباس بن أبي لهب ، فأنشده الأحوص من شعره ، فقال له الفضل : إنك لشاعر ، ولكنَّكَ لا تحسنُ تُؤبِد[2] ، فقال الأحوص : بلى والله إني لأُحسِنُ أُؤبِد[3] حين أقول وقال : [من البسيط]

---

(١) الخبر والأبيات في الأغاني ٦/١٥ (ط بولاق) بنحوه .

(٢) تؤبد : أي تأتي بالأوابد ، وهي شوارد القوافي أو غرائب الكلم . ورواية الأغاني ٣/١٥ « ولكنك لا تعرف الغريب ولا تغرب » .

(٣) في الأصل : « أوتد » وكذا في التاريخ (س) وهو تصحيف .

مـــاذاتُ حَبْـــلٍ يَراهُ النـــاسُ كُلُّهمُ ... وَسْـطَ الجحيمِ فـلا يَخْفَى على أحَـــدِ
تُرى حبـــالَ جميـعِ النـــاسِ من شعَرٍ ... وحَبْلُها وَسْطَ أهلِ النـارِ من مسَدِ[1]

فقال الفضلُ بن العباس يُجيبه : [من البسيط]

مـــاذا تريـــدُ إلى شَتْمي ومَنْقَصَتي ... لمـــا تُعَيِّرُ من حَمَّـــالـــة الحطَبِ
غرَّاءَ ســـائلـــةٍ في المجـــد غُرَّتُهـــا ... كانت سُلالـــةَ شيخٍ ثـاقبِ النَّسَبِ
أفي ثـــلاثـــةِ رَهْـــطٍ أنت رابعُهم ... عيَّرْتَني واسطـاً جرثـومـــة العربِ
فـلا هـــدى اللهُ قـومـــاً أنت سيِّـدُهم ... في جلـدةٍ بين أصل الثيل والـذنبِ[2]

قـال الفرزدق أتيتُ الفضل بن العبـاس اللَّهَبي وهو يَمِيحُ بـدَلْوٍ من زمزم وهو يقول : [من الرمل]

وأنـــــــا الأخْضَرُ مَنْ يعرفني ... أخضَرُ الجِلْـــــدَةِ في بيتِ العَرَبْ
مَنْ يُسـاجِلْني يسـاجِـلْ مـاجـداً ... يَمْـلأُ الـدَّلْـوَ إلى عَقْـدِ الكَرَبْ
ورسـولُ اللهِ جَـــدِّي جَـــدُّهُ ... وعلينـــا كان تَنْـزيـلُ الكتُبْ[3]

قال : قلتُ مَنْ يُساجلك فرجلي في كذا من أُمّه . قال : أتعرفني لا أُمَّ لك ؟ قـال : قلتُ : وكيف لا وقد فرغَ اللهُ في أبو يك سورةً من كتابه ! فقال جلَّ وعزَّ ﴿ تَبَّتْ يدا أبي لَهَبٍ ﴾ قال : فضحك وقال : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال : قد علمتُ أنَّ أحداً لا يُحسِنُ هذا غيرَك .

ومعنى قوله فرغ : أي ليس في السورة غَيْرُ ذكرِ أبي لَهَبٍ وذكرِ امرأته .

قال المصنّف :

وقد ألطفَ الفرزدقُ فيما خاطب بـه الفضل ، لأنـه لَمَّـا لم يمكنْـهُ مُسَـاجلتَـهُ وقـد فخَر [١٢٢/ب] بنسبته من هاشم وقُرْباهُ من رسولِ الله ﷺ ، أي بما يخصُّه ويقلُّ من عِزَّته[4] .

---

(١) البيتان في « شعر الأحوص » ص ١١١ .

(٢) أثبت المختصر في هامش الأصل ما نصه : « الثيل : ذكر البعير » . والخبر مع الأبيات في الأغاني ٣/١٥ و٦ ، ٧ ط بولاق .

(٣) انظر ص ٢٨٢ ح ٢ و ٣ .

(٤) إلى جانب السطر في الأصل حرف (ط) ، لعلـه يشير بـه إلى جواب « لَمَّـا » السـاقـط من الأصل والتاريخ . وسياق الخبر في التاريخ لا يدل على أنه للمصنف ، بل للعافى صاحب « الجليس » ؛ وليس الخبر في الجزأين المطبوعين منه ١ و٢ .

١١٤ ـ الفضل بن العباس

أبو بكر الرَّازي الصائغ الحافظ

المعروف بفضلك

قدم دمشق طالباً للحديث .

وحدَّث عن محمد بن مِهْران بسنده إلى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه عن جدِّه قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لا يدخلُ الجنةَ مَنْ أتى ذاتَ مَحْرَم .

توفِّي الفضلُ بنُ العباس فضلك الحافظ سنة سبعين ومئتين .

وكان ثقةً ، ثَبتًا ، حافظاً ، إمامَ عصرِهِ في معرفة الحديث .

١١٥ ـ الفضل بن عبد الله بن مَخْلد بن ربيعة

أبو نعيم الجُرْجاني المَخْلدي التميمي القاضي

حدث عن محمود بن خِدَاش بسنده إلى عليِّ بن أبي طالب قال :

صلَّيتُ العصرَ مع عثمان بنِ عفان أمير المؤمنين ، فرأى خيَّاطاً في ناحية المسجد ، فأمر بإخراجه ، فقيل له : ياأمير المؤمنين ! إنه يكنُسُ المسجد ويغلقَ الباب ويَرُشُّ أحياناً ! فقال : إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : جنِّبُوا صُنَّاعَكُمْ مساجدَكم .

وحدث عن أبي مروانَ الدمشقي بسنده إلى عائشة عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ وقَّرَ صاحبَ بِدْعَةٍ فقد أعانَ على هَدْمِ الإسلام .

وحدث عن العباس بن الوليد الخلاَّل قال : سمعتُ محمد بن القاسم بن مُمَيع يقول :

سألتُ أبا حَنِيفة في مسجد الحرام عن شُرْب النَّبِيذ فقال لي : عليك بأشدِّه فإنك لن تقومَ لشكره .

توفي الفضل بن عبد الله سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئتين .

١١٦ ـ الفضل بن عمر بن أحمد ويقال : فضل الله

أبو طاهر النسَوي المعروف أبوه بلبل[١]

قدم مع أبيه دمشق .

حدث بسنده إلى عائشة رضوان الله عليها قالت :

كان رسولُ الله ﷺ [١٢٣/آ] يستأذننا إذا كان يومُ المرأةِ منا بعدما نزلَتْ ﴿ تُرْجي مَنْ تشاءُ مِنْهُنَّ وتُؤْوي إليكَ مَنْ تشاء ﴾[٢] . قالت مُعَاذَة : فقلت : كيف كنتِ تقولينَ لرسولِ الله ﷺ إذا استأذَنَك ؟ قلت : أقول : إنْ كانَ ذلك إليّ لم أُوثِرْ أحداً على نفسي .

١١٧ ـ الفضل بن قُدَامةَ بن عُبيد

ابن محمد بن عبيد بن عبد الله بن عَبَدَةَ[٣] بن الحارث بن إياس بن عوف

ويقال : اسمه المفضَّل بن قُدامة بن عبيد الله وفي نسبه اختلاف

أبو النَّجْم العِجْلي الراجز

وفد على سُليمان وهشام ابني عبد الملك وكان مقدَّماً عند جماعةٍ من أهل العلم على العجَّاج ، ولم يكن أبو النجم كغيرِه من الرجَّاز الذين لم يُحْسنوا أنْ يَقْصِدوا ، لأنه يُقَصِّدُ فَيُجِيد .

قال معاويةُ يوماً لجلسائه : أيُّ أبيات العرب في الضيافةِ أحسن ؟ فأكثروا ، فقال : قاتلَ اللهُ أبا النَّجْم حيثُ يقول : [من الطويل]

لقد علمَتْ عِرْسي قِلابَةُ أنني ... طويلٌ سَنَا ناري بعيدٌ خمودُها

إذا حلَّ ضيفي بالفلاة فلم أجد ... سوى مُنْبِتِ الأطنابِ شُبَّ وقودُها[٤]

---

(١) في التاريخ (د ، س) بليل ، وفي هامش الأصل « بلبل » أيضاً ، فلعل الصواب « بليل » وتكون نقطة الياء الثانية ذاهبة من الأصل .

(٢) سورة الأحزاب ٥١/٣٣

(٣) الضبط من التبصير ٩٠٨/٣ والتاج (عبد) . وقد ضبطه الأستاذ محمود شاكر في طبقات ابن سلام ٧٣٨/٢ ح ١ بضم العين وسكون الباء ، ولم أقف على مصدره .

(٤) البيتان والخبر في معجم الشعراء للمرزباني ص ٣١١ .

وبقي إلى أيّام هشام بن عبد الملك . وكان الأصمعيُّ يغمزُ عليه وهو القائل :

[من مشطور الرجز]

والمَرْءُ كالحـــالِمِ في المَنَـــامِ
يقـولُ إني مـــدركٌ أمـــامي
في قـابـلٍ مـافـاتني في العـام
والمرء يـــدنيـــهِ من الحِمامِ
مَرُّ الليـــالي السـودِ والأيـــامِ
إنَّ الفتى يُصبِحُ لـلأسقـــامِ
كالغرَضِ المنصـــوب للسهـــامِ
أخطـــأ رامٍ وأصـــابَ رامِ[1]

قـال هشـام للشعراء : صفوا لي إبلاً فقيّظـوهنَّ وأوردوهنَّ وأصـدِروهنَّ حتى كأني أنظر إليهنّ . قال أبو النجم : فذهب بي الرَّوِيُّ حتى قلت :

وصارت الشمس كعين الأحولِ[2]

فغضب هشام وقال : أخرجوا هؤلاء ، لا يدخلنَّ هذا عليّ .

وكان بالرُّصَافةِ رجلان [١٢٣/ب] أحدهـا يُغَـدّي والآخر يُعَشّي[3] ، فكنتُ أتغـدّى عنـد أحـدهـا وأتعشّى عنـد الآخر ، وأبيتُ في المسجـد ، فـأمسى هشـامٌ ذات ليلـةٍ لَقِسَ النفس[4] ، فقال لحاجبه ربيع : ابغني رجلاً غريباً يُحدِّثني ، فخرج فأخرجني من المسجـد ، فأدخلني عليه ، فقال لأبي النجم : ألم يكن أمَرْنا بإخراجك عن هذه القريـة ، فَمَنْ آواك ومَنْ أمَّ مثواك ؟ فقلت : أمّا الغداء فمن عند فلان ، والعشـاء من عنـد فلان ، والمبيت من حيث

---

(١) الخبر والأبيات في معجم الشعراء ص ٣١١ .

(٢) البيت في الطرائف الأدبية ص ٦٩ وانظر ص ٢٩١ ح ٤ من هذا الجزء .

(٣) في الأصل : « تغدّى ... تعشّى » وما أثبتُّه من التاريخ . ورواية أبي الفرج في الأغاني ٨٠/٩ : « ولم يكن أحد بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي وعمرو بن بسطام التغلبي ، فكنت آتي سليمان واتغدّى عنده ، وآتي عمراً فأتعشّى .. » .

(٤) لقِسَتْ نفسه : غثَتْ وخَبُثت ، أو ضاقت ونازعته إلى الشر . اللسان (لقس) .

أُخرجت . فقال : ما مالُك وولدك ؟ قلت : أمَّا المال فلا مال ، وأمَّا الأهل فابنتان . قال : هل زوَّجتَهما ؟ قلت : إحداهما ، قال : فما أوصيتها ؟ قال : مالاً[1] يُجديهِ عليَّ أميرُ المؤمنين . قال : هاته ، قال : [من مشطور الرجز]

أوصيتُ من برَّةَ قَلْبـــــاً حُرَّا
بـــالكَلْبِ خيراً والحَمَـــاةِ شرَّا
لاتســأمي خَنْقًــا لهــا وجَرَّا
والحيَّ عُمِّيهِمْ بشرٍّ طُرَّا
وإنْ حَبَــوْكَ ذهَبــــاً ودُرَّا
حتى يرَوْا حُلْــوَ الحيـــاةِ مُرَّا[2]

فضحك حتى استلقى وقال : يـاأبا النجم ! مـاهـذه وصيَّةُ يعقوبَ لبنيـه ! قلت : يـاأمير المؤمنين ، ولا أنـا مثـلُ يعقـوب . قـال : فـما زدْتَها ؟ قلت : بلى ، قـال : هـاتـه . قلت : [من مشطور الرجز]

سُبِّي الحَمَـــاةَ وابْهَتِي عليهـــا
فـــإنْ دنَتْ فـــازْدَلفي إليهـــا
وإقْرَعي بســـالـوَدِّ مِرْفقَيْهـــا
وظـــاهري النـــذر بـــه عليهـــا[3]
لاتُخبِر [ي][4] الدَّهرَ به ابنتَيْها

قال : فما فعلت أختُها ؟ قال : درجت بين أبياتِ الحيِّ ونفعتنا ، قال : هل قلت فيها شيئـاً قلت : نعم ، قال : هاته ، قلت : [من مشطور السريع]

كأنَّ ظـلأمـــةَ أخت شيبـــانْ
يتيمـــةٌ والـــدهـــا حيَّـــانْ[5]

---

(١) كذا في الأصل والتاريخ ، فلعل في الكلام سقطاً . وأجدى عليه : أعطاه . اللسان (جدا) .

(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ٥٠٦/٢ والأغاني ١٥٦/١٠ ط دار الكتب بخلاف في اللفظ .

(٣) في هامش الأصل حرف (ط) ولفظ اللسان (ظهر) : « وظـاهري بِجِلَفٍ عليهـا » . والأبيـات في الشعر والشعراء ٥٠٦/٢ والخبر مع الأبيات في الأغاني ١٥٦/١٠ ، ١٥٧ ط دار الكتب .

(٤) ما بين معقوفين ساقط من الأصل والتاريخ (س) استدركته من الأغاني والشعر والشعراء .

(٥) في الشعر والشعراء والأغاني « ووالدها » ولا يستقيم به الوزن .

الرأسُ قَمْـلٌ كُلُّـــهُ وصِئْبـــانْ
وليس في الرجلين إلا خيطـــانْ
فَهْيَ التي يـذعَرُ منهـا الشيطـانْ

فقال هشام لخصيٍّ على رأسه : يابُدَيح ، مافعلَتْ دنانير فلانة ؟ قال : هـاهي يـاأمير المؤمنين ، قال : ادفَعْها إلى أبي النجم يجعلْها في رجلَيْ ظلاَمة .

[١٢٤/آ] دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك فقال له : كيف رَابُكَ[١] ياأبا النجم في النساء ؟ قال : مالهنَّ عندي خير ، ماأنظر إليهنَّ إلاَّ شَزْراً ، وما ينظرْنَ إليَّ إلا خَزْراً[٢] ، فما ظنُّك ياأمير المؤمنين ؟ قـال : ظني بنفسي ، قـال : لاعلم لـك يـاأبـا النجم . ثم أرسل إلى جوارٍ له فسألَهُنّ عمَّا ظنَّ أبو النجم ، فقلْنَ : ياأمير المؤمنين ، وما عِلْمُ[٣] هذا ! ؟ ثم أقبلْنَ على أبي النجم فقلن : يـاأعرابي ، أتقـولُ هـذا لأمير المـؤمنين ، وليس منَّـا امرأةٌ تصلِّي إلا بغُسْلٍ منه ؟! قال هشام : ياأبا النجم ، دونك هذه الجارية ـ لواحدةٍ منهنّ ـ فأخـذ بيـدهـا ثم أمره أن يغدُوَ عليه بخبَرها . فغدا عليه ولم يصنع شيئاً ، فلمَّا رآه قـال : مـاصنعتَ يـاأبـا النجم ؟ قال : ماصنعتُ شيئاً ولقد قلت في ذلك شعراً . قال : وما هو ؟ قال : قلت :

نظرَتْ فـأعجبهـا الـذي في درْعهـا ... من حُسْنِـهِ ونظرتُ في سِرْبـاليـا
فرأتْ لهـا كَفَـلاً ينـوءُ بخصرهـا ... وَعْثـاً روَادِفُـهُ وأُخْتَمَ نـاتيـا[٤]
ضَيْقـاً يَعَضُّ بكلِّ عَرْدٍ نـاآلـهُ ... كالقَعْبِ أوْ ضَرْعٍ يُرى متجـافيـا[٥]
ورأيت مُنْتشرَ العِجـان مُقَبَّضـاً ... رِخْـواً حمـائلُـهُ وجِلْـداً بـاليـا[٦]

(١) اللفظة في الأصل مهملة ، وفي التاريخ (د ، س) : « مارأيك » بالمثناة التحتية ، وأثبتُّ مافي طبقات ابن سلام لأن ابن عساكر يرويه عنه كما هو بيّن في سنده ؛ والرَّابُ كالرَّيْب : الحاجة . وللأستاذ المحقق محمود شاكر في إثبات هذه الرواية تعليق لطيف انظره في الطبقات ٧٤٥/٢ ح ٤ .

(٢) النظر الشزْر : الذي فيه إعراض كنظر المعادي المبغض . والنظر الخَزْر ـ بفتح فسكون ـ : الـذي فيـه كِبْر واستخفاف للمنظور إليه . التاج (خزر ، شزر) .

(٣) كُرّرت كلمة (علم) في الأصل ، ولا وجود له في التاريخ .

(٤) الكفَل : العَجُز . الـوعث : اللـيّن . الأخثم : جَهـاز المرأة . نـاتيـا : نـاتئـاً منتبراً منتفخـاً . اللسـان . وإلى جانب البيت في الأصل حرف (ط) .

(٥) الضَّيْق : الضَّيِّق . والعرد : الـذكر المنتصب . والقعب : القـدح المقعَّر المقبَّب . والضَّرْع : مَـدَرُ اللبن ، وهو للبهائم كالثدي للمرأة (التاج) . ورواية الطبقات : « أو ضَرْح » ومعاهد التنصيص : « أو صدع » .

(٦) العجان : آخر الذكر ، ممدود في الجلد ، وقيل : هو ما بين الخصية والدُّبر . اللسان .

أُدْنِي لـــه الرَّكَبَ الخَلِيـقَ كأنمـــا ... أُدْنِي إليـــه عقـــاربـــاً وأفـــاعيـــا[1]

إنَّ النَّـدَامَـةَ والسَّـدَامَـةَ فـاعْلَمَنْ[2] ... لـو قـد صبرتُـكَ للمُـوَاسي خـاليـا

مـابـالُ رأسـكَ مِن ورائي خـالفـاً ... أحسِبْتَ أنَّ حِرَ الفتـــاةِ ورائيـــا

فـــاذهبْ فـــإنَّـــك ميِّتٌ لاتُرتجى ... أبَـدَ الأبيـــدِ ولـو عَمِرْتَ لـيـاليـا

أنتَ الغَرُورُ إذا خُبرتَ وربَّما ... كان الغَرُورُ لمن رجـاهُ شـافيـــا[3]

كان أبو عمرو بن العلاء يقول : أشعَرُ أُرجوزةٍ قالتها العرب قولُ أبي النجم :

الحمـــدُ لله الـوَهُـوب المُجْـزِلِ ... أعطى فلم يَبْخَـلْ ولَمْ يُبَخَّـلِ[4]

قال : ولم أر أسْيَرَ منها ، لم أر عربيًّا إلاَّ وهو ينشدُها أو بعضها .

[١٢٤/ب] ذُوكر رُؤْبةُ بالأراجيز فقال وقد ذكر أبو النجم قصيدتَهُ تلك : لعنها الله ـ يعني هذه اللاميَّة لاستجادته إيَّاها وغضبه منها وحسده عليها .

قال أبو سليم العلاء :

قلت لِرُؤْبة : كيف رجَزُ أبي النجمِ عندكم ؟ قال : لاميَّتُه تلك عليها لعنةُ الله . فإذا هي قد غاظَتْهُ وبلغتْ منه .

وكان أبو النجم ربَّما قصَد فأجاد ، ولم يكن كغيره من الرجَّاز الذين لم يحسنوا أنْ يقصِّدوا ، وكان صاحبَ فَخْر وبَذَخ .

اجتمع الشعراء عند سليمان بن عبد الملك فأمرهم أن يقول كلُّ رجلٍ منهم قصيدةً يذكرُ

---

(١) الرَّكَب : بالتحريك : منبت العانة أو الفرج نفسه ، للرجل والمرأة . وقال الخليل : هو للمرأة خاصة . اللسان والتاج (ركب) .

(٢) في الأصل : « فاعلمي » وكذا في التاريخ (س) وأثبتُّ ما في (د) وطبقات ابن سلام والأغاني .

(٣) الخبر والأبيات في طبقات ابن سلام ٧٤٥/٢ ـ ٧٤٨ ـ ورواية ابن عساكر من طريقه كما هو مثبت في سنده ـ والأغاني ١٥٨/١٠ ، ١٥٩ ط دار الكتب .

(٤) نشرها الأستاذ محمد بهجة الأثري في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٨ ص ٤٧٢ سنة ١٩٢٨ في مئة وواحد وتسعين بيتاً ، ونشرها المبني في الطرائف الأدبية ٥٥ ـ ٧١ .

فيها مآثرَ قومِهِ ولا يكذب ؛ ثم جعل لمن برز منهم جاريةً مولَّدة . فأنشدوه وأنشد أبو النجم حتى أتى على قوله : [من الكامل]

عـدُّوا كمن ربَـعَ الجيـوشَ لصُلْبِـهِ عشرون وهـو يُعَـدُّ في الأحيـاءِ[1]

قال : أشهدُ إنْ كنتَ صادقاً إنـك لصـاحبُ الجـاريـة . فقـال أبو النجم : سلِ الملأ عن ذلـك ياأمير المؤمنين . فقال الفرزدق : أمَّا أنا فأعرف منه ستة عشر ، ومن ولـد ولـدِهِ أربعـةً كلُّهم قد رَبَع . فقال سليمان ولَدُ ولدِهِ هُمْ ولده ، ادفع إليه الجارية .

١١٨ ـ الفضل بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن سليمان

أبو العباس الباهليُّ الأنطاكيُّ العطّار الأحْدَب

حدث عن محمد بن هشام بسنده إلى ابن عمر

نهى رسولُ الله ﷺ عن القَزَع[2] .

وحدث عن كثير الحذّاء بسنده إلى سَمُرَة قال : قال النبيُّ ﷺ :

لانكاحَ إلاَّ بوليّ ، وإذا أنكح المرأةَ وليَّان فالأول أحقُّ بالنكاح .

توفي سنة سبعٍ وثلاث مئة .

وحدث [عن] أبي[3] عَقيل يحيى بن حبيب بسنده إلى ابن عباس قال : قال النبيُّ ﷺ :

من آتاهُ اللهُ وَجْهاً حسناً واسماً حسناً ، وجعلَهُ في مَوْضعٍ غيرِ شائنٍ له فهو من صَفْوَةِ الله عزَّ وجلّ . [١٢٥/آ] ثم أنشأ ابنُ عباسٍ يقول : [من الخفيف]

---

(١) البيت في الأغاني ١٥٤/١٠ ط دار الكتب وروايته « منا الذي ربع ... » وربع الجيش : أخذ ربع الغنيمة (اللسان) .

(٢) القَزَع : هو أن يُحلق رأسُ الصبيِّ ويُترك منه مواضع متفرقة غير محلوقة ، تشبيهاً بقزَعِ السحاب . اللسان (قزع) .

(٣) في الأصل « ابن » وهو وهم أو تصحيف ، والصواب من تهذيب الكمال للمزي ١٤٩٢/٣ في ترجمة يحيى بن حبيب . وما بين معقوفين ليس في الأصل استدركته ليناسب السياق مستنداً إلى أسلوب ابن منظور في الاختصار ، فسند الحديث في التاريخ (س) هكذا : « ... حدثنا أبو العباس الفضل بن محمد بن عبد الله العطار الأحدب بأنطاكية سنة ست وثلاثمئة وتوفي ـ يرحمنا الله وإياه ـ سنة سبع وثلاثمئة ، حدثنا أبو عقيل يحيى بن حبيب ... » .

أنت شَرْطُ النبيِّ إذْ قال يوماً ... اطلبوا الخَيْرَ من حسانِ الوجوهِ

خرَّجَهُ الدَّارَقُطْني وغَيْرُه وقالوا : هو كذَّاب[1] .

١١٩ ـ الفضلُ بن محمد بن المُسَيَّب

ابن موسى بن زهير بن يزيد بن كَيْسان بن باذان

أبو محمد الشعراني البَيْهقي

من رُسْتاق نَيْسابور . سمع بدمشق .

حدث عن أبي صالح بسنده إلى أبي الدرداء قال : سمعتُ أبا القاسم ﷺ ـ ما سمعتُه يكنْيه قَبْلَها ولا بَعْدَها ـ يقول :

إنَّ الله قال : ياعيسى بن مريم إني باعث بَعْدَك أُمَّةً إنْ أصابَهُمْ ما يحبُّون حمدوا وشكروا ، وإنْ أصابَهُمْ ما يَكْرَهون احتسبوا وصبَرُوا . ولا حِلْم ولا عِلْم . قال : يارب ! وكيف يكونُ هذا لهم ولا حِلْم ولا عِلْم ؟! قال : أعطيهم من حِلْمي وعِلْمي .

توفِّي سنة ثمانين ومئتين . وكان ثقةً ، مأموناً .

وقيل : توفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين .

١٢٠ ـ الفضل بن محمد

أبو المَعَالي الهَرَويّ ، الفقيه

قدم دمشق .

وحدث عن أبي الحسن محمد بن يحيى بسنده إلى أبي الصَّلْت الهَرَوي قال :

كنتُ مع علي بن موسى الرِّضا ، فدخل نيسابور وهو راكب بغلةً شهباء أو أشهب ـ قال أبو الصَّلْت : الشكُّ مني ـ وقد عدَوْا في طلَبه فتعلقوا بلجامه وفيهم ياسين بن النضر ، قالوا : يابن رسولِ الله ، بحقِّ آبائك الطاهرين ، حدِّثْنا بحديثٍ سمعتَهُ من أبيك ؛ فأخرج

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ٣/٢٥٨

رأسه من العَمَّارية[1] فقال : حدثني أبي الرجلَ الصالح موسى بنَ جعفر ، حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد ، حدثني أبي محمد بن علي ، حدثني أبي عليٌّ بن الحسين ، حدثني أبي الحُسَين بن علي . حدثني أبي عليٌّ بن أبي طالب قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : سمعتُ جبريل يقول : قال اللهُ عزَّ وجلّ : أنا اللهُ الذي لا إله إلاَّ أنا ، يا عبادي فَمَنْ جاء منكم بشهادةِ أنْ لا إلٰهَ إلاَّ الله بالإخلاص دخل في حِصْني ومن دخل في حِصْني أمِنَ عذابي .

[١٢٥/ب] وفي روايةٍ عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ :
يقول اللهُ : لا إلهَ إلاَّ الله حِصْني ، فَمَنْ دخلَهُ أمِنَ عذابي .

١٢١ ـ الفَضْل بن مروان

أبو العباس البَرْذاني ، الوزير

ولي الوزارةَ للمعتصم ، وقدم معه دمشق ومع المتوكِّل ، وكان كاتباً للسيدة أمِّ المتوكِّل .

قال الفضل بن مروان :

مضَيتُ مع المعتصم إلى علي بن عاصم ليسمع منه ، فقال عليٌّ بن عاصم : حدثنا عمرو بن عُبَيد ـ وكان قَدَريًّا ـ فقلت : يا أبا الحسن ! إذا كان قَدَريًّا فلِمَ تروي عنه ؟ فالتفتَ عليٌّ إلى المعتصم فقال : ألا ترى كاتبَكَ هذا يشغَبُ علينا ـ وكان ذلك في إمارةِ المعتصم قبلَ أنْ يلي الخلافة .

وفي رواية : فقال له المعتصم : يا أبا الحسن أما يُروى أنَّ القدريَّةَ مجوسُ هذه الأُمَّة ؟ قال : بلى ، قال : فلِمَ تروي عنه ؟ قال : لأنه ثقةٌ في الحديث صدوق . قال : فإنْ كان المَجُوسيُّ ثقةً ، فما تقولُ ؟ أتروي عنه ؟ فقال له علي : أنت شغَّاب يا أبا إسحاق .

---

(١) العمارية : هَوْدج يُجلس فيه ، يوضع على بغل ويقعد فيه رجلان كل منهما في جانب . وتسمى اليوم في العراق الكجاوة . انظر مستدرك دوزي على المعاجم العربية ١٧١/٢ ، ١٧٢ والديارات للشابشتي ص ٣٥ ح (١٨) .

قال الفضل بن مروان :

لما دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفِرَ به ، كلَّمَهُ إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلَّم به معاويةَ بن أبي سفيان في سَخْطةٍ سَخِطها عليه واستعطفه ، وكان المأمونُ يحفظ الكلام ، فقال له المأمون : هيهات يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سبَقكَ به فَحْلُ بني العاص بنِ أميَّة وقارحُهم سعيدُ بن العاص ، وخاطب به معاوية . فقال له إبراهيم : فكانَ مَهْ يا أمير المؤمنين ؟ وأنت أيضاً إنْ غفَرْتَ فقد سبقكَ فَحْلُ بني حَرْب وقارحهم إلى العفو ، فلا تكنْ حالي في ذلك عندك أبْعَدَ من حالِ سعيدٍ عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقربُ إليك من سعيدٍ إلى معاوية ؛ وإنَّ أعظمَ الهُجْنَةِ أنْ تسبقَ أميَّةُ هاشماً إلى مَكْرُمة . فقال : صدقتَ يا عم وقد عفَوْتُ عنك .

[١٢٦/أ] قال الفضل بن مروان :

عِلْمان نظرْتُ فيهما وأنعمتُ النظر فلَمْ أرَهُما يصحَّان : النجوم والسِّحْر .

كان الفضل متصلاً برجل من العمَّال يكتبُ له ـ وكان حسنَ الخط ـ ثم صار مع كاتبِ للمعتصم يقال له يحيى الجُرْمُقاني ، وكان الفضل بن مروان يخطُّ بين يديه ، فلما مات الجُرْمقاني صار الفضل في موضعه وكان يكتبُ للفضل عليُّ بن حسَّان الأنباري ، فلم يزَلْ كذلك حتى بلغ المعتصم الحال التي بلغها والفَضْلُ كاتبُه ، ثم خرج منها إلى معسكر المأمون ، ثم خرج معه إلى مصر ، فاحتوى على أموال مصر ، ثم قدم الفضل قبل مَوْتِ المأمون بغدادَ ينفذُ أمورَ المعتصم ويكتبُ على لسانه ما أحبَّ حتى قدم المعتصم خليفةً ، فصار الفضلُ صاحبَ الخلافة ، وصارتِ الدواوين كلُّها تحتَ يديه وكنز الأموال . وقدم أبو إسحاق حين دخل بغداد يأمرُهُ بإعطاء المغنِّي والمُلْهي ، فلا يُنفذ الفضلُ ذلك ، فثَقُلَ على أبي إسحاق .

وكان إبراهيم المعروف بالهَفْتي مضحكاً ، فأمر له المعتصم بمال ، وتقدَّم إلى الفضل بن مروان بإعطائه ، فلم يعطِهِ الفضلُ شيئاً ممَّا أمر له به المعتصم . فبينا الهَفْتي يوماً عند المعتصم بعدما بُنيت داره التي ببغداد ، واتُّخذ له فيها بستان ، قام المعتصم يتمشى في البستان ينظر إليه ، وإلى ما فيه من أنواع الرياحين ومعه الهَفْتي ، وكان الهفتي يصحب المعتصم قبل أن تُفْضي إليه الخلافة فيقول له فيما يداعبه : والله لا تُفلح أبداً ـ وكان الهفتي رجلاً مَرْبوعاً

والمعتصم رجلاً مُعَرَّقاً خفيفَ اللحم ، فجعل المعتصم يسبقُ الهَفْتِيَّ في المشي ، فإذا تقدَّمه ولم يرَ الهفتيَّ معه التفت إليه فقال : مالك لا تمشي ! يستعجلُهُ المعتصم ليلحق به ، فلما كثر ذلك من المعتصم على الهفتي قال له الهفتيُّ مداعباً له : كنتُ أراني أماشي خليفةً ولم أكنْ أراني أماشي فَيْجاً[1] ! والله لا أفلحت . فضحك المعتصم وقال : ويلك وهل بقي من [١٢٦/ب] الفلاح شيءٌ لم أدركه ؟ أبعدَ الخلافة تقولُ لي هذا ؟! فقال الهَفْتي : أتحسبُ أنك قد أفلحت الآن ؟ إنما لك من الخلافة الاسم ، ما يجاوز أمْرُك أُذنَيْكَ ، وإنما الخليفة الفضلُ بن مروان الذي يأمر فينفذ أمْرُه من ساعته . فقال المعتصم وأيُّ أمرٍ لا ينفذ لي ؟ ! فقال الهَفْتي : أمرتَ لي بكذا وكذا منذ شهرين فما أُعطيت مما أمرتَ به منذ ذاك حبَّة .

قال : فاحتجنها المعتصم على الفضل حتى أوقع به . فلما كان سنة تسع عشرة ومئتين - وقيل سنة عشرين ومئتين - خرج المعتصم يريد القاطول[2] ، ويريد البناء بسامَرَّاء[3] ، فصرفه كثرةُ زيادة دجلة ، فلم يقدر على الحركة ؛ فانصرف إلى بغداد إلى الشَّمَّاسيَّة[4] . ثم خرج بعد ، فلما صار بالقاطول غضب على الفضل بن مروان وأهلِ بيته ، وأمرهم برفع ماجرى على أيديهم ، وأُخذ الفضل وهو مغضوبٌ عليه في عمل حسابه ، فلما فرغ الحساب لم يُناظَرْ وأمر بحَبْسه وأنْ يُحمل إلى منزله ببغداد ، وحبَس أصحابه ، وصيَّر مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فنفى الفضلَ إلى قريةٍ في طريق الموصل يقال لها السِّنّ ، لم يزلْ بها مقيماً .

فذُكر أنَّ المعتصم لما استوزر الفضل بن مروان حلَّ من قلبه المحلَّ الذي لم يكن أحدٌ يطمعُ في ملاحظته فضلاً عن منازعته ، ولا في الاعتراض في أمره ونَهْيه ؛ فكانت هذه صفته حتى حملَتْهُ الدالَّة وحرَّكته الْحُرْمة على خلافه في بعض ما كان يأمر به ، ومَنْعه ما كان يحتاجُ إليه من الأموال في مُهِمّ أموره .

---

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله . فارسي معرب . اللسان (فيج) .

(٢) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . انظر معجم البلدان ٢٩٧/٤ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) مضى تعريف سامراء ص ١٨٦ ح ١ .

(٤) الشماسية : منسوبة إلى شَمَّاسي النصارى ، وهي مجاورة لدار الروم في أعلى مدينة بغداد . انظر معجم البلدان ٣٦١/٣ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٤٩ و٥١ .

وذكر عن ابن أبي دُوَاد قال :

كنتُ أحضرُ المعتصم وكثيراً ما كنتُ أسمعُه يقول للفضل : احمل إليَّ كذا وكذا ، فيقول : ماعندي ، فيقول : احتَلْها من وجه ، فيقول : من أين أحتالها ؟ ومَنْ يُعطيني هذا القَدْرَ من المال ؟ وعند مَنْ أجِدُه ؟ فكان ذلك يسوؤه ، وأعرفه في وجهه ، فلمَّا كثر هذا من فعله ركبتُ إليه يوماً فقلت له مستخلياً به : ياأبا العباس [١٢٧/آ] إنَّ الناس يدخلون بيني وبينك بما أكره وتكره ، وعلى ذلك فما أدع نصيحتك ، وأداء ما يجبُ عليَّ في الحق لك ، وأراك كثيراً مما تردُّ على أمير المؤمنين أجوبةً غليظة تمرضه وتقدح في قلبه ، والسلطان لا يحملُ هذا لابنه ، لاسيَّما[1] إذا كثر ذلك وغَلُظ . قال : وماذاك ياأباعبد الله ؟ قلت : أسمعُهُ كثيراً ما يقولُ لك : نحتاج إلى كذا وكذا من المال ، فنصرفه في وجه كذا وكذا ، فتقول : مَنْ يعطيني هذا ؟ وهذا مالا يحتمِلُه الخلفاء . قال : فما أصنعُ إذا طُلب مني ماليس عندي ؟ قلت : تصنع أن تقول : نحتالُ في ذلك بحيلة ، فتدفع عنك إلى أنْ يتهيَّأ ، وتحمل إليه بعض ما يطلب وتسوِّفُه بالباقي . قال : نعم أفعل وأصير إلى ماأشرتَ به . قال : فلكأني كنتُ أغريه بالمنع ؛ فكان إذا عاودَ مثل ذلك من القول عاد إلى ما يكرَهُ من الجواب . قال : فلما كثر ذلك عليه دخل يوماً عليه وبين يديه حزمة نَرْجِسٍ غضّ ، فأخذها المعتصم فهزَّها ثم قال : حيَّاك الله ياأباالعباس ؛ فأخذها الفضل بيمينه ، وسلَّ المعتصم خاتمه من إصبع يساره وقال له بكلامٍ خفي : أعطني خاتمي ، فانتزعَهُ من يده ووضعه في يد ابن عبد الملك.

خرج الفضل بن مروان يوماً فرأى مكتوباً على حائط داره : [من الطويل]

تفَرْعَنْتَ يا فضلُ بنَ مروانَ فاعتبِرْ ... فقبلك كان الفَضْلُ والفَضْلُ والفَضْلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مَضَوْا لسبيلهم ... أبادَهُمُ التَّنْكيل والحَبْسُ والقَتْلُ
وإنك قد أصبحتَ في الناسِ لعنةً ... ستُودِي كما أَوْدَى الثلاثةُ من قَبْلُ

وإنما عنى الفضل بن يحيى بن خالد ، والفضلَ بن سهل ، والفضلَ بن الربيع . فإنهم درجوا قبل الفضل بن مروان .

---

(١) كذا بحذف الواو من « ولا سيما » وهو جائز كما في مغني اللبيب ص ١٨٦

وفي الفضل بن مروان يقول محمد بن عبد الله[1] العَرُوضي وكنيته أبو بكر من حضرموت : [من البسيط]

لا تغبطنَّ أخا دُنْيا بمقدرةٍ ... فيها وإنْ كان ذا عِزٍّ وسُلْطانِ
[١٢٧/ب] يكفيكَ من حادثاتِ الدَّهْرِ ما صنعَتْ ... حوادثُ الدهرِ بالفَضْلِ بنِ مَرْوانِ
إنَّ الليالِيَ لَمْ تُحْسِنْ إلى أحدٍ ... إلاَّ أساءَتْ إليهِ بَعْدَ إحْسانِ
العيشُ حُلْوٌ ولكنْ لا بقاءَ لَهُ ... جميعُ ما الناسُ فيهِ زائلٌ فانِي[2]

توفي الفضل بن مروان سنة خمسٍ ومئتين بسُرَّ مَنْ رأى .

١٢٢ ـ فُضَيل بن عِياض بن مسعود بن بشر

أبو علي التميمي ثم اليَرْبوعي الخراساني المَرْوزي الزاهد

قدم الشام .

حدث عن أبي علي[3] بسنده إلى أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ حجَّ البيت فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُق رجع كما ولدَتْهُ أمُّه .

وحدَّث عن الأعمش بسنده إلى علي بن أبي طالب قال : قال رسولُ الله ﷺ :

مَنْ كذب عليَّ متعمِّداً فَلْيتبوَّأْ مَقْعَدَهُ من النار . وأشهد أنه ممَّا كان يُسِرُّ إليّ : لتُخْضَبَنَّ هذه من هذه . وأشار إلى لحيته ورأسه .

قال الفُضَيل :

بَيْنا أنا ذات يوم جالس إذْ قال رجلٌ من أصحابي : ألا تأتي فلاناً فقد لزم بيته وحفر قبراً ؟ قلت : كيف عَقْلُه ؟ قال : قيل سديدُ طِباعٍ . فأحببتُ أنْ آتيه ، فأتيتُه فجلستُ

---

(١) في التاريخ (د ، س) : « عبيد الله » .

(٢) كذا الأصل ، بإثبات ياء الوصل بعد حرف الروي .

(٣) كذا الأصل ، وهو وهم ، ولعل الصواب : « .. حدث أبو علي بسنده .. » لأن سنده في التاريخ (د) و(س) : « نا أبو عبد الله محمد بن زياد بن عبد الله الزعماني نا الفضيل بن عياض أبو علي عن منصور بن أبي حازم عن أبي هريرة ... » .

إليه أتأمَّله ، فسبق إلى قلبي أنه كلُّ ما قيل فيه أنه الحق وأكثر من الخوف ـ يعني قال : فلم أزدْهُ أن قلت بعد السلام عليه : إنَّ الناس قد قالوا خبَرك ، فانظُرْ أيَّ رجلٍ تكون . قال : ثم خرجت من عنده فلقيني بعد كم شاء الله في بلاد الشام يومَ جُمعة ، فبَصُرَ بي ولم أره ، فقبض عليَّ ثم قال : أبا علي ! لقد أتعبتنا ؛ قال فُضيل : فرجعتُ باللائمةِ على نفسي فقلت : أيُّها العالم أتيتَ أخاً لك فألقيتَ إليه كلمةً فأتعبتَه ، فأنتَ كنت أحقَّ بالدُّؤوب والتعَب أيُّها العالم .

ولد الفُضيل بخراسان بكُورةِ أبيوَرْد ، وقيل ولد بسمَرْقَنْد . وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع الحديث ، ثم تعبَّد وانتقل إلى مكة . وكان ثقةً ، ثَبتًا ، فاضلاً ، عابداً ، ورعاً ، كثير الحديث .

[١٢٨/آ] ونَهْرُ عياض الذي على نصف فَرْسَخٍ من مَرْو منسوبٌ إلى أبيه . وكان أحدَ العلماء والزُّهّاد والفتيان . تفتَّى في أوَّل أمره . وكان شريك بن عبد الله القاضي وسفيان الثوري ، وإسرائيل ، وفُضَيْل بن عياض ، وغيرهم من فقهاء الكوفة وُلدوا بخُراسان . كان يُضرب على آبائهم البُعوث ، فيتسرَّى بعضُهم ويتزوَّج بعضُهم ، فلمَّا قفلوا جاء بهم آباؤهم إلى الكوفة .

قال الفُضيل :

ولدتُ بسمَرْقَنْد ـ وكان من أهل نَسَا[1] ـ ورأيت بها عشرة آلافِ جوزةٍ بدرهم .

وكان فُضيل شاطراً يقطعُ الطريق في مَفَازةٍ بين أبيوَرْد ومَرْو . فربَّما كان ينتمي إلى أبيوَرْد .

وقيل : كان يقطع الطريق بين أبيوَرْد وسَرَخْس . وكان سببُ توبته أنه عشق جاريةً ، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ ﴾[2] فقال : يا رب قد آنَ . فرجع ، فآواهُ الليل إلى خَرِبةٍ فإذا فيها رُفْقَةٌ

---

(١) نسا : مدينة بخراسان ، ورستاقٌ نسا وادٍ عريض معروف اليوم بـ « دره گز » أي وادي المن . انظر معجم البلدان ٢٨١/٥ وبلدان الخلافة الشرقية ص ٤٣٥ . وموقعها اليوم في تركمنستان إلى الشرق من بحر الخزر (قزوين) .

(٢) سورة الحديد ١٦/٥٧

سابلة ، فقال بعضُهم : نرتحل ، وقال قوم : حتى نصبح فإنَّ فُضيلاً على الطريق يقطَعُ علينا . فتاب الفَضْل وآمنهم ، وجاور الحَرم حتى مات .

وقيل إنه قال : ففكرتُ وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي ، وقومٌ من المسلمين هاهنا يخافونني ، وما أرى الله ساقني إليهم إلاَّ لأرتدع ، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك وجعلتُ توبتي مجاورةَ البيت الحرام .

وقيل : إنه خرج ليلةً ليقطع الطريق فإذا هو بقافلةٍ قد انتهت إليه ليلاً ، فقال بعضُهم لبعض : اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإنَّ أمامنا رجلاً يقطعُ الطريق يقال له الفُضيل . فسمع الفضيل ، فأرعد وقال : ياقوم أنا الفُضيل جوزوا ، والله لأجتهدنَّ أنْ لا أعصي اللهَ أبداً . فرجع وترك ما كان عليه .

وقيل : إنه خرج عشيةً يريدُ مَقْطَعه ، فإذا بقومٍ حَمَّارَة معهم ملح ، فسمع بعضَهم يقول مرُّوا مرُّوا لا يفجأنا فُضيل فيأخذ مامعنا . فسمع ذلك فضيل فاغتمَّ وتفكَّر وقال : يخافني هذا الخلقُ الخوفَ العظيم ! فتقدَّم إليهم [١٢٨/ب] وسلَّم عليهم وقال لهم وهم لا يعرفونه : تكونون الليلةَ عندي وانتم آمنون من الفُضيل . فاستبشروا وفرحوا وذهبوا معه فأنزلهم وخرج يرتادُ لهم عَلفاً فرجع إليهم فسمع قارئاً يقرأ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قلوبُهم لِذِكْرِ اللهِ ومانَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[1] فصاح الفُضيل ومزَّق ثيابه على نفسه وقال : بلى والله قد آن : فكان هذا مبتَدأَ توبته .

قال الفضيل :

إذا أحبَّ اللهُ عبداً أكثر غَمَّه ، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه .

وقال الفضيل :

لو أنَّ الدنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ لأُحاسَبَ بها لكنتُ أتقذَّرُها كما يتقذَّرُ أحدُكم الجيفةَ إذا مرَّ بها أنْ تصيبَ ثوبَه .

---

(١) سورة الحديد ١٦/٥٧

وقال الفُضيل :

لو حلفتُ أني مَرَاءٍ أحبُّ إلي من أن أحلفَ أني لست بمُرَاء .

وقال : تَرْكُ العمل لأجْل الناس هو الرِّياء ، والعمل لأجل الناس هو الشِّرْك .

وقال أبو علي الرازي :

صحبتُ الفُضيل ثلاثين سنة ما رأيتُه ضاحكاً ولا متبسماً إلاَّ يوم مات ابنُه عليّ ! فقلت له في ذلك ، فقال : إنَّ الله أحبَّ أمراً فأحببتُ ذلك .

وقال ابن مبارك :

إذا مات الفُضيل ارتفع الْحُزْن .

وقال الفضيل :

إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي .

وكان عبدُ الله بن المبارك [يقول][1] : رأيتُ أعبدَ الناس ، ورأيتُ أورعَ الناس ، ورأيتُ أعلمَ الناس ، ورأيتُ أفقهَ الناس ؛ فأمَّا أعْبَدُ الناس فعبد العزيز بن أبي روَّاد ، وأمَّا أورعُ الناس فالفُضيل بن عياض ، وأمَّا أعْلَمُ الناس فسفيانُ الثَّوْريّ ، وأمَّا أفقهُ الناس فأبو حنيفة . ثم قال : ما رأيتُ في الفقه مثله .

قال ابن المبارك :

ما بقي على ظَهْر الأرض عندي أفضل من الفُضيل بن عياض .

قال إبراهيم بن سعيد :

قال لي المأمون : ياإبراهيم ، قال لي الرشيد : ما رأتْ عيناي مثل فُضيل بن عياض ! قال لي وقد دخلت [١٢٩/آ] عليه : يا أمير المؤمنين ، فَرِّغْ قَلْبَك للحزنِ والخوف حتى يسكناه ، فيقطعاك عن معاصي الله ويباعداك من النار .

---

(١) ما بين معقوفين من التاريخ (د) و(س) ١٣١/١٤ ب وسنده هكذا : « ... محمد بن مزاحم يقول : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : رأيت ... » .

قال شريك بن عبد الله :

لم تزَلْ لكلِّ قومٍ حُجَّةٌ في أهل زمانهم ، وإنَّ فُضيل بن عياض حُجَّةٌ لأهل زمانه ؛ فقام فتًى من المجلس ، فلما توارى قال الهيثم بن جميل : إنْ عاش هذا الفتى يكون حُجَّةً لأهل زمانه . قيل : مَنْ هذا الفتى ؟ قيل : أحمد بن حنبل .

قال إبراهيم بن الأشعث :

رأيتُ سُفيان بن عُيَيْنَة يُقَبِّلُ يدَ الفُضيلِ بنِ عياض مرَّتين .

قال عبد الله بن المبارك :

إنَّ الفُضيل بن عياض صَدَق اللهَ فأجرى الحكمة على لسانه . فالفضيل ممَّنْ نفعَهُ علمه .

وكان الفضيل بن عياض يقول : لمْ يتزيَّنِ الناسُ بشيءٍ أفضلَ من الصدق وطلَبِ الحلال . فقال له علي : ياأبَهْ ! إنَّ الحلال عزيز . قال الفُضيل : يابُنيَّ ، وإنَّ قليله عند الله كثير .

قال ابن المبارك :

إذا نظرتُ إلى فُضيل بن عياض جدَّد لي الْحُزْن ومَقَتَّ نفسي . ثم بكى .

قال عبد الله بن المبارك لأبي مريم القاضي :

مابقي في الحجاز أحدٌ من الأبدال إلاَّ فُضيلُ بن عياض وعليُّ ابنه ، وعليٌّ يُقدَّم على أبيه في الخوف . ومابقي أحدٌ في بلاد الشام إلاَّ يوسف بن أسباط وأبو معاوية الأسود ، ومابقي أحدٌ بخراسان إلاَّ شيخٌ حائك يقال له مَعْدان .

قال يحيى بن أيُّوب :

دخلت مع زافر بن سليمان على الفُضيل بن عياض بالكوفة فإذا الفُضيل وشيخٌ معه ؛ قال : فدخل زافر وأقعدني على الباب ، قال زافر : فجعل الفُضيل ينظرُ إليَّ ثم قال : ياأباسليمان هؤلاء أصحابُ الدنيا ليس شيءٌ أحبَّ إليهم من قرب الإسناد ، ألا أخبرك بإسناد لا يُشكُّ فيه : رسولُ الله ﷺ عن جبريل عن اللهِ عزَّ وجلّ ﴿ ناراً وَقُودُها النَّاسُ والحجارة عليها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِداد ﴾[1] الآية .. فأنا وأنت ياأباسليمان من الناس . قال : ثم غُشي

(١) سورة التحريم ٦/٦٦ .

عليه وعلى الشيخ ، وجعل زافر ينظرُ إليهما ، قال : تحرَّك الفُضيل فخرج زافر وخرجت معه والشيخُ مغشيٌّ عليه .

[١٢٩/ب] قال إبراهيم بن الأشعث :

ما رأيتُ أحداً كان الله عزَّوجلَّ في صدره أعظمَ من الفُضيل بن عياض ؛ كان إذا ذكر الله أو ذُكر عنده ، أو سمع القرآن ظهَر به من الخوف والْحُزْن ، وفاضَتْ عيناه وبكى حتى يرحمُهُ مَنْ بحضرته ؛ وكان دائمَ الْحُزْن شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريدُ الله بعلمه وعمله وأخْذِه وعطائه ومنعه وبَذْلِه وبُغْضِه وحُبِّه وخصاله كُلِّها غيره ـ يعني الفُضيل .

قال إبراهيم بن الأشعث :

كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزالُ يعظُ ويذكر ويبكي لكأنه مودِّعٌ أصحابَه ذاهبٌ إلى الآخرة ، حتى يَبْلُغَ المقابر ، فيجلس ، فلكأنه بين الموتى جلس ، من الْحُزْن والبكاء حتى يقوم ولكأنه رجع من الآخرة يُخبرُ عنها .

وكان فضيل يقول :

لأنْ أكونَ هذا الترابَ أو هذا الحائطَ أحبُّ إليَّ من أنْ أكون في سِلْخ أفضلِ أهلِ الأرض اليوم ؛ وما يسرُّني أنْ أعرف الأمر حقَّ معرفته إذاً لطاش عقلي . ولو أنَّ أهل السماء والأرض طلبوا أنْ يكونوا تراباً فسُفِعوا[1] كانوا قد أُعطوا عظيماً . ولو أنَّ جميعَ أهلِ الأرض من جنٍّ وإنس ، والطير الذي في الهواء ، والوحش الذي في البَرّ ، والحيتان التي في البحر ، علموا الذي يصيرون إليه ، ثم حزِنوا لذلك وبكَوْا كان موضع ذلك ؛ فأنت تخاف الموت أو تعرف الموت ؛ لو أخبرتني أنك تخاف الموت ماقبلتُ منك ، لو خفت الموت ما نفعك طعامٌ ولا شراب ولا شيءٌ من الدنيا .

قال سهل بن راهويه :

قلتُ لسفيان بن عُيَيْنة : أمَا ترى إلى الفُضيل بن عياض ، ما تكادُ تجفُّ له دمعة ! قال سفيان : كان يقال : إذا فرح القلبُ ندِيَتِ العينان ؛ ثم تنفس سفيانُ نفساً مُنْكَراً .

---

(١) كذا الأصل والحلية ٨/٨٥ وفي التاريخ (د ، س) : « فشفعوا » بالشين المعجمة . قلتُ : لعل الصواب : « فسُفِعوا » من سعف الرجل بحاجته وأسعف إسعافاً : إذا قضاها له . التاج (سعف) .

سُئل الفضيل بن عياض عن قوله عزَّ وجلّ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾[1] ؟ قال : بما احتملتم من المكاره وصبرتم عن اللذّات في الدنيا .

قال الفضيل بن عياض :

[١٣٠/آ] دانِقٌ حلالٌ أفضل من عبادةِ سبعين سنة .

وقال : مَنْ عرف ما يدخلُ جَوْفَه كُتب عند الله صِدِّيقا ؛ انظُرْ عند مَنْ تُفطِرُ يامسكين .

قال بِشْر بن الحارث :

عشرةٌ مِمَّنْ كانوا يأكلون الحلال لا يُدْخِلُونَ بطونَهم إلاّ حلالاً ولو استَفُّوا الترابَ والرَّماد . قلت : مَنْ هم ياأبا نَصْر ؟ قال : سفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخَوَّاص ، وعلي بن فُضيل ، ويوسف بن أسباط ، وأبو معاوية نَجيح الخادم . وحُذيفة بن قتادة المَرْعشي ، وداود الطائي ، ووُهيب بن الورد ، وفُضيل بن عياض .

قال الفضيل بن عياض :

مكثتُ في جامع الكوفة ثلاثة أيّام لم أطعَمْ طعاماً ولم أشرَبْ شراباً ، فلما كان اليومُ الرابع هزَّني[2] الجوع ، فبينا أنا جالسٌ إذْ دخل عليَّ في باب المسجد رجلٌ مجنون وبيده حجَرٌ كبير ، وفي عُنقهِ غُلٌّ ثقيل ، والصبيان من ورائه ، فجعل يجولُ في المسجد حتى إذا حاذاني جعل يتفرَّسُ فيَّ ، فخفتُ على نفسي منه ، فقلت : إلهي وسيِّدي ! أجَعْتَني وسلَّطْتَ عليَّ مَنْ يقتُلني ! فالتفتَ إليَّ وقال : [من الطويل]

مُحِلٌّ بِيانِ الصَّبْرِ فيك غَرِيزة ... فيا ليتَ شعري هل لصبركَ مِن أجْرِ

قال فُضيل : فزال عني جوعي وطار عني هلعي وقلت : ياسيدي لولا الرجاءُ لم أصبر ، قال : وأين مستقَرُّ الرجاء منك ؟ قلت : بحيث مستقرُّ هِمَمِ العارفين ، قال : أحسنتَ يافُضيل ، إنها لقلوبٌ الهمومُ عمرانُها ، والأحزانُ أوطانها ، عرفَتْهُ فاستأنستْ به ، وارتحلَتْ

---

(١) سورة الرعد ٢٤/١٣

(٢) في التاريخ (د ، س) : « هزّني » بالزاي المعجمة .

إليه ، فعقولهم صحيحة ، وقلوبهم ثابتة ، وأرواحهم بالملكوتِ الأعلى معلَّقة . ثم ولَّى وأنشأ يقول : [من الطويل]

فهامَ وليُّ الله في القَفْرِ سائحاً ... وحُطَّتْ على سير القدوم رواحلُهْ
فعاد لخيرٍ قد جرى في ضميره ... تَذُوبُ[1] بهِ أعضاؤهُ ومفاصِلُهْ

قال الفضيل : لقد بقيتُ عشرة أيامٍ لم أطعَمْ طعاماً ولم أشربْ شراباً وَجْداً لكلامه .

[١٣٠/ب] قال عبيد الله بن عمر : دخلتُ أنا ويحيى بن سليم إلى الفضيل نعوده ، فقال الفضيل وجعل يضرب بيدِهِ على رأسه :يافُضيل ، خلقك وأفرغ عليك نعمَهُ ظاهرةً وباطنة ، وحرسك بعينه ، وصرف وجوه الناس إليك وكنت تشتغل عنه ! مَنْ أنت وماأنت ؟ ثم شهق شهقة وسقط ، وغُطي بثوبه ، وجعل ينتفض وهو لا يعقل ، وتركناه .

وقال الفضيل بن عياض ليلةً : يارب ! أجعتني وأجعتَ عيالي ، وأعريتني وأعريت عيالي ، ولي ثلاثةُ أيامٍ ماأكلتُ ولاأكل عيالي ، ولي ثلاثُ ليال ماستصبحت ، فبما[2] بلغتُ عندك حتى تفعل بي هذا ؟ وإنما تفعل هذا يارب بأوليائك ، أفتراني أنا منهم ؟ إلهي ! إنْ فعلت بي مثل هذا يوماً آخر علمتُ أني منك على بال . فلمَّا كان اليوم الرابع إذا داقٌّ يدقُّ الباب ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا رسولُ ابنِ المبارك ، وإذا معه صرَّةُ دنانير وكتابٌ يذكر فيه أنه لم يحجَّ هذه السنَة ، وقد وجَّهْتُ بكذا وكذا . قال : فجعل فُضيل يبكي ويقول : قد علمتُ أني أشقى من ذلك أنْ أكونَ عند الله بمنزلة أوليائه .

قال الفضيل بن عياض :

إنَّ الله يَزْوي الدنيا عن وليِّه ويُمَرِّرها عليه مرَّةً بالعري ومرَّةً بالجوع ومرَّةً بالحاجة ، كما تفعل الوالدةُ الشفيقة بولدها مرَّةً صبراً[3] ومرَّةً حُضَضاً[4] ، وإنما تريدُ بذلك ماهو خيرٌ له.

---

(١) في الأصل : « مذوبٌ » والمثبت من التاريخ (د ، س) . قلتُ : وربما تُقرأ في الأصل : « مَذُوفٌ » من ذاف وهي لغة في داف الشيء إذا خلطه .

(٢) كذا في الأصل والتاريخ ، وإثبات ألف « ما » قليل شاذ إن جُرَّت . انظر ص ٧٣ ح ١ من هذا الجزء .

(٣) في الحلية ٨/٩٠ : « ... بولدها ، تسقيه مرة صبراً ... » وطريق أبي نعيم في روايته غير طريق ابن عساكر .

(٤) الحضض : دواء ، أو عصارة الصبر . اللسان (حضض) .

وفي حديثٍ آخر بمعناه عن بشر بن الحارث :

فبأيِّ يدٍ لي عندك حتى فعلتَ بي هذا ؟ ثم بكى حتى رحمتُه فقلتُ له : ياأباعليّ ! ماهذا البكاء ؟ فقال لي : ياأبانصر ، بلغني أنَّ الصراط مسيره خمسة عشر ألف عام خمسة آلاف صعود ، وخمسة آلاف نزول ، وخمسة آلاف مستوى ، أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف على مَتْنِ جهنَّم ، لايجوزها إلاَّ كلُّ ضامرٍ مهزولٍ من خشية الله . قال : فبلغني في بعض الروايات أنَّ إذا دخل أهْلُ الجنة الجنة ، وأهلُ النار النار ، ذكروا أهل الجنة : هل بقي أحَدٌ على الصراط [١٣١/آ] بعد خمسة وعشرين ألف عام ؟ فقال : بقي رجلٌ يحبو ، فبلغ ذلك الحسن البصري فقال : ياليتني أنا ذلك الرجل . فأنا ياأبانصر لاأهدأُ من البكاء أبداً .

قال بشر بن الحارث :

كنت بمكة مع الفُضيل بن عياض ، فجلس معنا إلى نصف الليل ، ثم قام يطوف إلى الصبح فقلت : ياأباعلي ! ألا تنام ؟ قال : ويحك ! وهل أحدٌ سمع بذكر النار تطيبُ نفسُهُ أن ينام ؟!

قال إسحاق بن إبراهيم :

مارأيت أحداً كان أخوف على نفسه ولاأرجى للناس من الفُضَيل ! كانت قراءتُهُ حزينة شهية بطيئة مترسِّلة ، كأنَّهُ يُخاطبُ إنساناً ، وكان إذا مرَّ بآيةٍ فيها ذكر الجنة تردَّد فيها وسأل ، وكانت صلاتُه بالليل أكثر ذلك قاعداً يُلقى له حصيرٌ في مسجده ، فيصلِّي من أوَّل الليل ساعةً ، ثمَّ تغلبهُ عينه فيُلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم ، فإذا غلبه النوم نام ، ثم يقومُ هكذا حتى يصبح ، وكان دأْبُهُ[1] إذا نعَس أن ينام . ويقال : أشدُّ العبادة ماتكون هكذا . وكان صحيحَ الحديث ، صدوقَ اللسان ، شديد الْهَيْبَة للحديث إذا حدث ؛ وكان يثقلُ عليه الحديث جداً ، ربَّما قال لي : لو أنك طلبتَ مني الدراهم كان أحبَّ إلي من أن تطلب مني الأحاديث . وسمعتُه يقول : لو طلبت مني الدنانير كان أيسرَ عليَّ من أن تطلب مني الحديث ، فقلتُ له : لو حدَّثتني أحاديث فرائد ليستْ عندي كان أحبَّ إليَّ من

---

(١) في الأصل والتاريخ (س) ١٣٣/١٤ ب : « وكان كأنه » وما أثبتُه من الحلية ٨٦/٨ ، لأن ابن عساكر يرويه عنه كما هو بيّن في سنده .

أن تهبَ لي عددها دنانير . قال : إنك مفتون ، أمْ والله لو عملتَ بما سمعت لكان لك في ذلك شغلٌ عمَّا لم تسمع . ثم قال : سمعتُ سليمان بن مهْران يقول : إذا كان بين يديك طعام تأكلُه فتأخذ اللقمة فترمي بها خلف ظهرك ، كلَّما أخذت اللقمة رميتَ بها خلف ظهرك متى تشبع ؟

كان ابن المبارك يعظِّمُ الفضيل وأبا بكر بن عياش ، ولو كانا على غير تفضيل أبي بكر وعمر لم يعظِّمْهما .

وقال بشر بن الحارث : قال الفضيل بن عياض :

بلغني أنَّ اللهَ قد حجر التوبةَ عن كُلِّ صاحبِ بدعة ، وشرُّ أهلِ البدع المبغضون لأصحاب رسول الله ﷺ [١٣١/ب] ثم التفتَ إليَّ فقال : اجعل أوثق عملك عند الله عزَّ وجلَّ حُبَّك أصحاب نبيِّه ﷺ ، فإنك لو قدِمتَ الموقف بمثل تراب الأرض ذنوباً غفرها الله لك ، ولو جئت الموقف وفي قلبك مقياسُ ذرَّة بُغضاً لهم لما نفعك مع ذلك عمل .

قال الفضيل بن عياض :

إذا علم الله في رجلٍ أنه مُبغِضٌ لصاحب بِدْعة رجوتُ أن يغفر الله له وإنْ قلَّ عمله .

وقال : إن لله ملائكةً يطلبون حلَقَ الذِّكْر ، فانظر مع مَنْ يكون مجلسك ، لا يكون مع صاحبِ بِدْعة ، فإنَّ الله لا ينظر إليه ، وعلامة النفاق أنْ يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة .

وقال الفضيل :

ليس لأحد أنْ يقعد مع من شاء ، لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وإذا رأيْتَ الذينَ يَخُوضُونَ في آياتِنَا فأعْرِضْ عنهمْ حتى يخوضُوا في حديثٍ غيره ﴾[1] ﴿ إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ ﴾[2] وليس له أن ينظر إلى مَنْ يشاء ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول ﴿ قُلْ للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ ﴾[3] وليس له أنْ يقولَ ما لا يعلم أو يستمع إلى ما يشاء أو يهوى ما يشاء لأنَّ اللهَ

---

(١) سورة الأنعام ٦٨/٦

(٢) سورة النساء ١٤٠/٤

(٣) سورة النور ٣٠/٢٤

تعالى يقول : ﴿ ولاتَقْفُ مالَيْسَ لك بهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أولئكَ كان عنه مَسْئُولا ﴾[1] .

وعن الفُضيل قال :

لاتجلسْ مع صاحبِ بِدْعة فإني أخاف أن تنزل عليه اللعنة .

وقال : علامةُ البلاء أنْ يكون خِدْنُ الرجل صاحبَ بدعة .

وقال : طوبى لمن ماتَ على الإسلام والسُّنَّة . ثم بكى على زمانٍ يأتي تظهَرُ فيه البِدْعة ، فإذا كان ذلك فلتكثرْ من قول ماشاء الله .

وقال : مَنْ قال ماشاء الله فقد سلَّم لأمْرِ الله .

وقال : مَنْ جلس مع صاحبِ بدعة لم يُعْطَ الحكمة .

قال مليح بن وكيع :

سمعتهم يقولون : خرجنا من مكةَ في طلب فُضيل بن عياض إلى رأس الجبل فقرأنا القرآن ، فإذا هو قد خرج علينا من شِعْبٍ لم نرَه ، فقال لنا : أخرجتموني من منزلي ومنعتموني الصلاة والطواف ، أما إنكم لو أطعتم الله ثم شئتم أن تزول الجبالُ معكم [١٣٢/آ] زالت . ثم دقَّ الجبلَ بيده فرأينا الجبالَ أو الجبلَ قد اهتزَّتْ وتحرَّكَتْ .

وقال الفضيل :

أصْلُ الإيمان عندنا وفَرْعُهُ وداخلُه وخارجُه بعد الشهادةِ بالتوحيد وبعد الشهادة للنبيِّ ﷺ بالبلاغ ، وبعد أداء الفرائض : صِدْقُ الحديث وحفظُ الأمانة ، وترك الخيانة ، ووفاءٌ بالعهد ، وصلةُ الرَّحِم ، والنصيحةُ لجميع المسلمين . قال معاذ : قلت : ياأبا عليّ ، من رأيك تقوله أو سمعتَه ؟ قال : لا ، بل سمعناهُ وتعلَّمناهُ من أصحابنا ، ولو لم آخُذْهُ عن أهل الثقة والفَضْل لم أتكلَّمْ به . قال معاذ : وكانت سَبْعاً فنسيتُ واحدة .

---

(١) سورة الإسراء ٣٦/١٧

قال بِشْرُ بن الحارث : قال لي الفُضيل :

يابِشْر ، الرضا عن الله أكبر من الزُّهْد في الدنيا . قلت : يـاأبـا علي ! كيف ذلـك ؟ قال : يكونُ العطاءُ والْمَنْعُ في قلبك بمنزلةٍ واحدة .

سأل رجلٌ الفُضيل فقال له : ياأبا علي ، علِّمْني الرِّضا . قال له الفضيل : يـابن أخي ارضَ عن الله ، فرضاك عن الله يَهَبُ لك الرِّضا .

توفي للرشيد ابن فكتب إليـه الفضيل : أمَّـا بعـد يـاأمير المؤمنين ، فـإن استطعت أنْ يكون شكرُكَ له حين أخذَهُ منك أفضلَ من شكرك له حين وهبَـهُ لـك[1] ؛ يـاأمير المؤمنين إنه جلَّ ثناؤه لما وهبَهُ لك أخذ هِبتَه ، ولو بقي لم تسلَمْ من فتنتـه ، أرأيتَ جزعـك عليـه ، وتلهُّفَك على فراقـه ؟ أرضيتَ الـدنيـا لنفسـك فترضـاهـا لابنـك ؟ أمَّـا هو فقـد خلصَ من الكدَر ، وبقيتَ أنت في الخطر .

رأى فضيلُ بن عياض رجلاً يسأل في الموقف فقال له : أفي هذا الموضع تسألُ غيرَ الله .

قال عبد الصمد بن يزيد :

سمعت فُضيل بن عياض يقول ـ وشكى إليه أهلُ المدينةِ القَحْط فقـال : مُـدَبِّراً غير الله تريدون .

نظر الفُضيل بن عياض إلى رجلٍ يشكو إلى رجلٍ حالَـه فقـال : يـاهـذا ! تشكو مَنْ يرحمك إلى مَنْ لا يرحمك ! .

قال السَّريّ :

سمعتُ فُضيلاً يقولُ عن ابنةٍ له توجَّعَتْ كفَّها فعادها فقال لها : يابُنيَّـة ، كيف كفُّـكِ هذه ؟ فقالت له : ياأبَهْ قد بُسـط لي من ثوابهـا مـالا أؤدِّي شكره عليـه أبـداً . فتعجَّب من حُسْنِ يقينها ، [١٣٢/ب] قال الفُضيل : فأنا عندها قاعد إذْ أتـاني ابنٌ لي لـه ثلاثُ سنين ، فقبَّلْتُه وضممتُه إلى صدري ، فقالت لي : ياأبَهْ ، سألْتُكَ بالله أتحبُّه ؟ فقلت : إي والله يابُنيَّة إني لأحبُّه ، فقالت : يـاسَوْأتـاه ! لـك من الله يـاأبـه ، إني ظننتُ أنَّـكَ لاتحبُّ مع الله غير الله ، فقلتُ لها : أيْ بُنَيَّة أفلا تحبُّون الأولاد ؟ فقـالت : المحبَّـةُ للخـالق والرَّحْمَـةُ للأولاد .

(١) كذا ، سقط من النص جواب الشرط ، فلعله كلمة « فافعل » .

فلطم الفُضيل في رأسه وقال : يا ربّ ! هذه ابنتي هيَّمَتْني في حُبِّها وحُبِّ أخيها ، وعزَّتِكَ لاأحببتُ معك أحداً حتى ألقاك .

سأل رجلٌ فضيل بن عياض : متى يبلغُ الرجلُ غايةَ حُبِّ الله ؟ قال : إذا كان عطاؤه إياك ومَنْعُه سواء .

قال الفُضيل :

تَرْكُ العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شِرْك ، والإخلاصُ أنْ يعافيك اللهُ عنهما .

قال محمد بن أبي ثُميلة :

خيبةٌ لك إنْ كنت ترى أنك تعرفُهُ وأنت تعمل لغيره .

قال فُضيل بن عياض لرجل :

لأعلِّمَنَّكَ كلمةً هي خيرٌ لك من الدنيا ومافيها : والله لئن علم اللهُ منك إخراجَ الآدميِّين من قلبك حتى لا يبقى في قلبك مكانٌ لغيره لم تسألْهُ شيئاً إلاَّ أعطاك .

قال الفضيل بن عياض :

ليتني أموتُ وأنا مُخَلِّط ، أخافُ أنْ أموت وأنا مُرَاءٍ ، يُدعى بي يومَ القيامة على رؤوس الخلائق ، يافُضيل خُذْ أجْرَكَ مِمَّنْ عمِلْتَ له .

كان الفضيل يقول : والله ماأدري ماأنا ، كذابٌ أنا ؟ مراءٍ أنا ؟ ماأدري ماأنا .

قال الفضيل :

مادخل عليَّ أحدٌ إلاَّ خفتُ أنْ أتصنَّع له أو يتصنَّع لي .

قال الفضيل :

خير العمل أخفاه ، أمنَعُهُ من الشيطان وأبعدهُ من الرياء .

اجتمع فُضيل بن عياض بسفيانَ الثوريّ ، فتذاكرا ، فرقَّ أو بكى سفيان ، فقال سفيان لفضيل : ياأبا علي ، إني لأرجو أنْ يكونَ هذا المجلس علينا رحمةً وبركةً ، فقال له الفضيل : لكني ياأبا عبد الله أخافُ أنْ لا يكونَ هذا المجلس جلسنا مجلساً قطُّ هو أضرُّ علينا

منه . قال : ولمَ [١٣٣/آ] ياأبا علي ؟ قال : ألستَ تخلَّصْتَ إلى أحسنِ حديثك فحدَّثتني به ، وتخلَّصْتُ أنا إلى أحسنِ حديثي فحدثتُكَ به ، فتزيَّنْتَ لي وتزيَّنْتُ لك ؟ فبكى سفيان أشدَّ من البكاء الأوَّل ، ثم قال : أحييتني أحياك الله .

كان الفضيل يقول : لأنْ آكلَ الدنيا بطبلٍ ومزمار أحبُّ إليَّ من أنْ آكلَها بدِين .

كان الفضيل يقول : إنما يهابُكَ هذا الخَلْق على قَدْرِ هيبتك لله عزَّ وجلَّ . وقال : إنما يطيعُ الله كل إنسانٍ على قَدْرِ منزلتِهِ منه .

قال الفيض بن إسحاق : قال الفُضيل بن عياض :

تزيَّنْتَ لهم بالصوف ، فلما لم ترهم يرفعون بك رأساً تزيَّنْتَ لهم بالقرآن ، فلما لم ترهم يرفعون بك رأساً تزينتَ لهم بشيءٍ بعد شيء ، كلُّ ذلك إنما هو لحبِّ الدنيا .

قال : وقال لي الفضيل :

لو قيل لك يامرائي غضِبْتَ وشقَّ عليك ، وعسى ماقيل حق ، تزيَّنت للدنيا وتصنعتَ لها ، وقصَّرْتَ ثيابك ، وحسنت سَمْتَك وكفَفْتَ أذاك حتى يقولوا : أبو يزيد[1] عابدٌ ماأحسن سمتَه ، وأحسنَ جوارَه ، وأكفَّ أذاه ! فيكرمونك ويفطرونك[2] ويهدون إليك ...[3] مثل الدرهم الستُّوق لا يعرفه[4] كلُّ أحد ، فإذا قشروا قشروا عن نحاس ، ويحك ! ما تدري في أيِّ الأصناف تُدعى غداً أفي المرائين أمْ في غير ذلك ؟ ثم قال : اتق الله لاتكن مرائياً وأنت لاتشعر .

قال الفضيل :

إنْ خِفْتَ اللهَ لم يضرَّك أحد ، وإن خفتَ غير الله لم ينفَعْكَ أحد .

---

(١) في الأصل : « أبو زيد » وهو تصحيف ، والصواب من التاريخ (د) و(س) ١٣٥/١٤ ب ، وتاريخ البخاري ١٣٩/٧ والجرح والتعديل ٨٨/٧ .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د) وفي (س) : « ويعطرونك » وفي سير أعلام النبلاء ٣٨٧/٨ : « وينظرونك » .

(٣) في الأصل بياض بمقدار كلمة ، وإلى جانب السطر حرف (ط) ولا وجود لبياض في التاريخ أو السير .

(٤) في الأصل : « لا تعرفه » وما أثبتُّه من التاريخ (د) و(س) وسير أعلام النبلاء . فلعل حرف (ط) المثبت بجانب السطر إشارة إليه .

سُئل الفضيل بن عياض عن شيءٍ فقال : مَنْ خاف اللهَ خاف منه كلُّ شيء ، ومَنْ خاف غيرَ الله خاف من كلِّ شيء .

قيل للفضيل : يا أبا علي ، ما الخلاصُ مما نحنُ فيه ؟ فقال له : أخبرْني مَنْ أطاع الله هل تضرُّهُ معصيةُ أحد ؟ قال : لا ، قال : فَمَنْ عصى الله هل تنفَعُهُ طاعةُ أحد ؟ قال : لا ، قال : هو الخلاص إنْ أردت .

قال الفُضيل :

مَنْ أحسن فيما بقي غفر له ما مضى وما بقي ، ومَنْ أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وما بقي . ثم بكى الفُضيل فقال : أسألُ الله أنْ يجعلَنا وإياكم مِمَّنْ يُحسنُ فيما بقي .

قال الفضيل :

[١٣٣/ب] بلغني أنَّ العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا ، وإذا علموا شُغلوا ، وإذا شُغلوا فُقدوا ، وإذا فقدوا طُلبُوا ، وإذا طُلبوا هربوا .

قال الفضيل بن عياض :

طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أُنسَه .

وقال : اطلبِ العلم لنفسك ، وانظرْ إلى مَنْ تُسلمه يا مسكين ، فإنَّ الله يسألك عنه . وقد قيل لإبراهيمَ بنِ أدهم : من أين أقبلتَ يا أبا إسحاق ؟ قال : من أُنسِ الرحمن ، قيل له : فأين تريد ؟ قال : إلى أُنس الرحمن .

وكان الفضيل يقول : رحم الله عبداً أجمل ذكره وبكى على خطيئته قبل أنْ يُرتهن بعمله .

وقال الفضيل بن عياض :

كامل المروءة مَنْ برَّ والديه ، وأصلح ماله ، وأنفق من ماله ، وحسَّن خُلقه ، وأكرم إخوانه ولزِم بيته .

قال الفضيل :

أخلاقُ الدنيا والآخرة أنْ تصل مَنْ قطعَكَ وتعطي مَنْ حرمك وتعفو عمَّنْ ظلمك .

وقال فضيل :

إذا خالطت فلا تخالطْ إلاَّ حسنَ الخلق فإنه لا يدعو إلاَّ إلى الخير ولا تخالطْ سيِّئَ الْخُلق ، فإنه لا يدعو إلاَّ إلى الشر .

وقال :

إذا رأيت الأسد فلا يهولَنك ، وإذا رأيتَ ابنَ آدم فخُذْ ثَوْبَك ثم فِرّ ، ثم فِرّ .

وقال :

مَنْ خالط الناس لا ينجو من إحدى اثنتين : إمَّا أنْ يخوضَ معهم إذا خاضوا في الباطل ، أو يسكت إنْ رأى منكراً أو يسمع من جليسه شيئاً فيأثم فيه .

قال إبراهيم بن الأشعث :

سمعتُ الفضيل وهو يقرأ ﴿ ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ منْكُمْ والصابِرِين ونَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1] فجعل يردِّدُ هذه الآية ويقول : إنَّك إذا بلَوْتَ أخبارَنا هتكتَ أستارَنا ، إنك إنْ بلَوْتَ أخبارنا فضحتَنا .

وقال الفُضيل :

ما أجد لذَّةً ولا راحةً ، ولا قرَّةً إلاَّ حين أخلو في بيتي بربِّي ، فإذا سمعتُ النداء قلت : إنَّا لله وإنا إليه راجعون كراهيةَ أنْ ألقى الناسَ فيشغلوني عن ربِّي تبارك وتعالى .

وقال : [١٣٤/أ] كفى بالله محبًّا ، وبالقرآنِ مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وكفى بخشيةِ الله علْماً ، والاغترار بالله جهلاً .

وفي آخر :

اتخذِ اللهَ صاحباً ودعِ الناسَ جانباً .

وقال : تفكَّروا واعملوا من قبل أن تندموا ، ولا تغترُّوا بالدنيا ، فإن صحيحها يسقم وجديدها يبلى ، ونعيمها يفنى ، وشبابها يهرم ؛ ألا إنَّ الناس قد تساهوا بين الدراهم والدنانير ، وليس لامرئٍ خيرٌ ممَّا نوى وقدَّم .

---

(١) سورة محمد ٣١/٤٧

وقال : إن أردتَ أن تستريح فلا تبالي مَنْ أكل الدنيا .

وقال : رَهْبَةُ العبد من الله على قَدْرِ علمه بالله ، وزهادتُه في الدنيا على قَدْرِ شوقه إلى الجنَّة .

وقال : جُعل الشرُّ كلُّه في بيت ، وجعل مفتاحه حُبَّ الدنيا ؛ وجُعل الخير كلُّهُ في بيت ، وجعل مفتاحه حُبَّ الزهد في الدنيا .

وقال : لو أنَّ الدنيا بحذافيرها عُرضتْ عليَّ حلالاً لأحاسَبُ عليها لكنت أقذرها كما يتقذَّرُ أحدُكم الجيفةَ إذا مرَّ بها أنْ تُصيبَ ثوبَه .

وقال : مَنْ عمل بما علم استغنى عمَّا لا يعلم ، ومَنْ عمل بما علم وفَّقه الله لما لا يعلم .

وقال : مَنْ ساء خلقه شانَ دينَه وحسَبَهُ ومروءته .

قال : وكان يقال : مَنْ خاف الله كلَّ لسانُه .

وقال : أكذبُ الناسِ العائد في ذَنْبه ؛ وأجْهَلُ الناس المُدِلُّ بحسناته ؛ وأعلم الناس بالله أخوفهم منه .

وقال : لن يكمل عبدٌ حتى يُؤثرَ دينَهُ على شهوته ، ولن يهلكَ عبدٌ حتى يؤثر شهوتَهُ على دينه .

وقال : خصلتان تقسيانِ القلب : كثرةُ الكلام ، وكثرةُ الأكل .

وفي رواية : كثرةُ النوم ، وكثرة الأكل .

وقال : فرَحُكَ بالدنيا للدنيا يَذْهَبُ بحلاوة العبادة ، وهمُّكَ بالدنيا يذهبُ بالعبادةِ كلِّها .

وقال : حزن الدنيا للدنيا يذهب بهمِّ الآخرة .

وقال : إنَّ من الشقاء طول الأمل ، وإنَّ من السعادة قِصَر الأمل .

وقال : خمس من علامات الشقاء : القسوةُ في القلب وجمودُ العين ، وقِلَّةُ الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطولُ الأمل .

وقال : تكلَّمتَ فيما لا يعنيك فشغلك عما يعنيك ، ولو شغلك ما يعنيك تركت ما لا يعنيك .

وقال : إنما أمس مثَل ، واليوم عَمَل ، وغداً أمل .

[١٣٤/ب] وذكر عند الفُضيل مجالسةُ العلماء فقال : إنَّ في مجالسة بعضهم لفتنة ، إذا كان العالمُ مفتوناً بالدنيا راغباً فيها ، حريصاً عليها ، فإنَّ في مجالسته فتنةً تزيد الجاهل جَهْلاً وتفتن العالم ، وتزيدُ الفاجر فجوراً ، وتفسِدُ قلبَ المؤمن .

وقال الفضيل :

مَنْ عامل الله بالصدق ورَّثَهُ الحكمة . وقال : إنَّ الله يُحبُّ العالم المتواضع ويُبغض العالمَ الجبَّار ، مَنْ تواضع لله ورَّثه الحكمة .

قال شُعيب بن حَرْب :

بينا أنا أطوف إذْ لكزني رجلٌ بمرفقه ، فالتفتُّ فإذا أنا بالفضيل بن عياض فقال : يا أبا صالح ، فقلت لبيك يا أبا علي ، فقال : إن كنت تظنُّ أنه قد شهد الموسم شرٌّ مني ومنك فبئس ما ظننت .

وقال الفضيل لسفيان : إن كنت ترى أنَّ أحداً في هذا المسجد دونك فقد بُليتَ ببلاء .

وقال له : لئنْ كنتَ تحبُّ أنْ يكونَ الناسُ مثلك فما أدَّيتَ النصيحةَ لربِّك ، كيف وأنت تحبُّ أنْ يكونوا دونك !؟

وقال الفُضيل :

مَنْ رأى لنفسه قيمةً فليس له في التواضع نصيب . وسئل الفضيل عن التواضع فقال : تخضع للحق وتنقادُ له وتقبَلُه مِمَّنْ قاله .

قال الفُضيل :

أوحى الله إلى الجبال أني مكلِّمٌ على واحدٍ منكم نبيّاً ، فتطاولتِ الجبال وتواضع طورُ سيناء ، فكلَّم الله عليه موسى على نبيِّنا وعليه الصلاةُ والسلام لتواضعه .

وقال الفضيل :

ما يسرُّني أنْ أعرفَ الأمر حقّ معرفته ، إذاً لطاش عقلي .

قال رجلٌ للفضيل : كيف أمسيتَ يا أبا علي وكيف حالُك ؟ فقال : عن أيّ حالي تسألني ، عن حال الدنيا أو عن حال الآخرة ؟ فإنْ كنتَ تسألني عن حال الدنيا فإنها قد مالت بنا وذهبَتْ كلّ مذهب ، وإنْ كنت تسألني عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثُرَتْ ذنوبُه ، وضعف عمَلُه وفني عمرُه ، ولم يتزوَّدْ لمعاده ، ولم يتأهَّبْ للموت ولم يتيَسَّرْ له[1] .

قال إسحاق بن إبراهيم الطَّبَريّ :

وقفتُ مع الفضيل بن عياض بعرفات ، فلم أسمعْ من دعائه شيئاً إلاّ أنه وضع يده [١٣٥/أ] اليمنى على خدِّه واضعاً رأسه يبكي بكاءً خفيّاً ، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : واسوءتاه ـ واللهِ ـ منك وإن غفرت ! ثلاث مرّات .

قال الفضيل :

والله ما يحلُّ لك أنْ تؤذيَ كلباً ولا خنزيراً بغير حق ، فكيف تؤذي مسلماً .

قال الفضيل :

إذا أراد الله أن يُتحف العبد سلّط عليه مَنْ يظلمه .

وفي رواية : إذا أراد أن يحبَّ العبد سلّط عليه من يظلمه .

وقال : لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنَهُ عدوُّه .

وقال الفضيل :

إذا لم يستحِ القلبُ من الله عزَّ وجلَّ سقط عن القلب مكارمُ الأخلاق .

وقال : بلغني أنَّ الله عزَّ وجل يحاسبُ العبد يوم القيامة بحضرةِ مَنْ يعرفه ليكونَ أشدَّ لفضيحته .

---

(١) يتيسر له : يتهيأ له .

وقال : مَنْ رأى من أخٍ له منكراً فضحك في وجهه فقد خانه .

وقال : بئس الزادُ إلى المعاد العدوان على العباد .

وقال : ما حجٌّ ، ولا رباطٌ ، ولا جهادٌ أشدّ من حبس اللسان ، ولو أصبحت يهمُّكَ لسانُك أصبحت في عمر شديد . وقال : سجن اللسان سجن المؤمن ، وليس أحدٌ أشدَّ غمّاً ممَّنْ سجنَ لسانه .

وقال : المؤمنُ قليلُ الكلام كثير العَمَل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

وقال الفضيل :

إذا قيل لك : أتخافُ الله ؟ فاسكُتْ ، فإنك إنْ قلتَ : لا ، جئتَ بأمرٍ عظيم ، وإنْ قلت : نعم ، فالخائف لا يكونُ على ما أنت عليه .

وقال : المؤمن يحاسب نفسه ، ويعلم أنَّ له موقفاً بين يدي الله تعالى ، والمنافق يغفل عن نفسه ، فرحم اللهُ عبداً نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به .

قال الفضيل :

يا مسكين تهلك ؛ إنك مسيء وترى أنك محسن ، وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وأنت بخيل وترى أنك سخي ، وأنت أحمق وترى أنك عاقل ، وأجَلُكَ قصير وأمَلُكَ طويل .

قال إبراهيم بن الأشعث : سمعتُ الفُضيل يقول :

هيه ، وتريد أنْ تسكنَ الجنَّة ! وتريد أنْ تجاورَ الله في داره مع النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ! وتريد أن تقف [١٣٥/ب] المواقف مع الأنبياء ، مع نوحٍ وإبراهيم ومحمد صلواتُ الله عليهم أجمعين يا أحمق ! بأيِّ عملٍ ، بأي شهوةٍ تركتها لله ؟ بأيِّ غيظٍ كظمتَهُ لله ؟ وبأيِّ رحم قاطعٍ وصَلْتَها ؟ وبأيِّ قريبٍ باعدتَه في الله ؟ بأيِّ بعيد قرَّبتَهُ في الله ؟ بأيِّ حبيبٍ رأيته يعمَلُ بما يكره اللهُ فأبغضْتَهُ في الله ؟ بأيِّ بغيضٍ رأيتَهُ يعمل بما يحبُّ الله فأحببتَهُ في الله ؟ ولكنْ بعفوهِ ورحمته نرجوه ، بإساءتنا لا نقولُ أحسنَّا ، ولكنْ نقول : أسأنا وبئس ما صنعنا .

وقال الفضيل :

إذا أحبَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عبداً أكثر غمَّه ، وإذا أبغض الله عبداً أوسع عليه دنياه .

قال رجلٌ للفضيل : أوصني ، قال : أعِزَّ أمْرَ اللهِ حيث كنت يُعِزَّك الله .

وكان يقول : حَرُّها شديد ، وقعرها بعيد ، وشرابها الصَّديد وأنْكَالُها الحديد .

وكان يقول : صَبْرٌ قليل ونعيمٌ طويل ، وعجلة قليلة وندامةٌ طويلة .

وقال : قِلَّةُ التوفيق ، وفسادُ الرأْي ، وطلبُ الدنيا بعمل الآخرة من كثرة الذنوب .

وقال : بقدْرِ ما يصغُر الذنب عندك كذلك يعظُم عند الله ، وبقَدْرِ ما يعظُم عندك كذلك يصغُر عند الله .

وقال الفضيل :

دعاك الله إلى دار السلام وقد آثرت في دنياك المقام ! وحذَّرك عدوَّك الشيطان وأنت تُخالفُه طولَ الزمان ! وأمَرَك بخلاف هواك ، وأنت معانقةُ صباحَك ومساءك ! فهل الخُمْقُ إلاَّ ما أنت فيه ؟!

قال مُحْرِزُ بن عون :

أتيتُ فُضيل بن عياض بمكة ، فسلَّمتُ عليه فقال لي : يا مُحْرِز ، وأنت أيضاً مع أصحاب الحديث ؟ ما فعل القرآن ؟ والله لو نزل حرفٌ بالين لقد كان ينبغي أنْ نذهب حتى نسمعَ كلام ربِّنا . والله لأنْ تكون راعيَ الحُمُر وأنت مقيمٌ على ما يُحبُّ الله ، خيرٌ لك من أنْ تطوفَ بالبيت وأنت مقيمٌ على ما يكره الله .

وقال الفضيل :

من أُوتي علماً لا يزداد فيه خوفاً وحُزْناً وبُكاءً خليقٌ أنْ لا يكون [١٣٦/أ] أُوتي علماً ينفعه ، ثم قرأ : ﴿ أَفَمِنْ هذا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ، وتَضْحَكُونَ ولا تَبْكُون ﴾[1] .

---

(١) سورة النجم ٥٣/٥٩ و٦٠

وقال : لا يزال العالمُ جاهلاً بما علم حتى يعمل به ، فإذا عمل به كان عالماً .

وقال : إنَّ الله تعالى لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان خالصاً ، ولا يقبله إذا كان له خالصاً إلاَّ على السُّنَّة .

قيل للفضيل بن عياض : ألا تحدثنا تُؤْجَر ؟ قال : على أيِّ شيءٍ أُوجر ؟ على شيءٍ تتفكَّهونَ به في المجالس ؟ .

وقال : مَنْ عرف اللهَ حقَّ المعرفة فهو بعيدٌ من الضلالة ، ومَنْ عرف الإخلاص فهو بعيدٌ من الرياء ، ومن أنزل الموتَ حقَّ المنزلة فلا يغفُلُ عن الموت .

وكان يقول : لا إلهَ إلاَّ الله ، ما أقربَ الأجلَ وما أبعد الأمل ! .

وقال : أفضل الجهاد المواظبة على الصلوات ، وأكبر الرِّباط انتظار الصلاة بعد الصلاة .

قال : وقال بعضهم : أفضل الجهاد مجاهدةُ النفس ، أنْ تجاهدَ نفسَك عن الحرام ، وعما نهى اللهُ عزَّ وجلَّ عنه ، وعن هواك .

وقال الفضيل :

لو أني أعلم أنَّ أحدهم يطلبُ هذا العلم لله تعالى لكان الواجبُ عليَّ أنْ آتيَهُ في منزله حتى أحدِّثه .

قال أبو رَوْح حاتم بن يوسف :

أتيتُ الفُضيل فقلت : يا أبا علي ، معي خمسة أحاديث إنْ رأيتَ أنْ تأذنَ لي فأقرأ عليك ؟ فقرأت ، فإذا هو ستة ، فقال لي : أُفٍّ ! قُمْ يا بُني ، تعلَّم الصدقَ ثم اكتُب الحديث .

وقال الفضيل :

الفُتوَّة الصَّفْحُ عن عثراتِ الإخوان .

قال فيض بن إسحاق :

كنتُ عند الفضيل بن عياض فجاء رجلٌ فسأله حاجةً ، فألحَّ بالسؤال عليه ، فقلت :

لا تؤذي[1] الشيخ ، فزجَرني الفضيل وصاح عليَّ وقال لي : يا فيض ، أمَا علمتَ أنَّ حوائج الناس إليكم نعمٌ من الله عليكم ؟ فاحذروا أن تملُّوا النِّعَم فتَحوَّلَ نقماً ؛ ألا تَحمَدُ ربَّك أنْ جعلَكَ موضعاً تُسألُ ولم يجعلْكَ موضعاً تَسأل ! .

[١٣٦/ب] قال أبو نصر بِشْر بن الحارث :

كتب أبو رجاء الذي كان بمكة إلى فضيل يستقرضُ دراهم ، قال أبو نصر : بعث مسكينٌ إلى مسكين . قال : ولم يكنْ عند فُضيل إلا بعير له يعمل عليه ، فأمر ابنه أن يبيعَه ثم يبعث إلى أبي رجاء بنصف ثمنه ويأتيه بالنصف الآخر .

قال إبراهيم بن الأشعث :

سمعتُ الفضيل يقول وقد سأله رجلٌ فقال : يا أبا علي ، أحبُّ أنْ تصف لي كيف كان ...[2] في المؤاخاة ؟ فقال الفضيل : هيهات ! كالمتعجِّب ، دعني ، وأين المؤاخاة ؟ ثم قال الفضيل : إنْ كان الرجُل ليحفظُ ولد أخيه من بعد موته يتعاهَدُهم أربعين خمسين سنة عمرَهُ كلَّه ، يأتي أهلَهُ فيقوم على بابه فيقول : هل لكم من حاجة ؟ تريدون شيئاً ؟ عندكم دقيق ؟ عندكم سَويق ؟ عندكم زيت ؟ عندكم حطب ؟ عندكم كذا ؟ حتى يسألهم عن الكسوة ، فيقولون : نعم ، فيقول : أرُوني ، فإنْ كان عندهم وإلاَّ اشترى لهم ، وربَّما اشترى لهم الخادم بخمس مئةِ درهم فيقول : خذوا هذه تخدمكم . وأحدُهم اليوم تُطلب إليه الحاجة فما يقضيها ، ويغضب حتى كأنه أذنب إليه ذنباً ، ويعادي ويقاطع ، فإذا هو قضاها أفسدها بمنٍّ أو تطاول . وأنت لو طُلبتْ منك عشرةُ دراهم لشق عليك ، نعم والله ، ودرهمٌ لو طُلب منك لشقَّ عليك .

وقال الفضيل :

يزعمُ الناس أنَّ الورَع شديد ، وما ورد عليَّ أمران إلاَّ أخذتُ بأهداهما ، فدَعْ ما يَريبُكَ إلى مالا يَريبُك .

---

(١) كذا في الأصل والتاريخ . انظر ص ١٢٣ ح ١ من هذا الجزء .

(٢) كذا الأصل بياض بمقدار كلمة ، ولا وجود له في التاريخ (د) ولا س) ١٤١/١٤ أ . ولعله أسقط الاسم عمداً ، أو لعل الكلمة الساقطة هي « الرجل » .

قال عبدةُ بن عبد الرحيم المَرْوزي :

كنتُ عند فُضيل بن عياض وعنده عبد الله بن المبارك فقال : إنَّ أهلَكَ وعيالك قد أصبحوا مجهودين محتاجين إلى هذا المال فاتَّقِ الله وخُذْ من هؤلاء القوم - يعني الخلفاء - فزجرَهُ عبدُ الله بن المبارك ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الرمل]

خُذْ من الجاوَرْس[1] والأ ... رُزِّ والخُبْزِ الشَّعيرِ

[١٣٧/أ] واجعَلَنْ ذاكَ حلالاً ... تَنْجُ من حَرِّ السَّعيرِ

وانْأ ما اسْطَعْتَ هداك الـ ... ـلهُ عن دارِ الأميرِ

لا تَزُرْها واجْتَنِبْها ... إنَّها شرُّ مَزُورِ

تُوهِنُ الدينَ وتُدْنِيـ ... ـكَ من الحُوبِ الكبيرِ[2]

ولَمَا تتركُ من دِيـ ... ـنكَ في تلك الأمورِ

هو أجْدى لك من ما ... لٍ وسلطانٍ يَسيرِ

منه بالدُّون فأبْصِرْ ... واذكرَنْ يومَ المصيرِ

قَبْلَ أنْ تسقُطَ يا مَغْـ ... ـرورُ في حُفْرَةِ بيرِ

واطْلُبِ الرزقَ إلى ذي الـ ... ـعرشِ والربِّ الغفورِ

وارضَ يا ويحكَ من دُنْـ ... ـياك بالقُوتِ اليسيرِ

إنها دارُ بلاءٍ ... وزَوالٍ وغُرورِ

كَمْ ترى قد صرعَتْ قَبْـ ... ـلَكَ أصحابَ القُصورِ

وذوي الهيبةِ في المجـ ... ـلسِ والجَمْعِ الكثيرِ

أُخرِجوا كُرْهاً وما كا ... ن لهم من نكيرِ

كَمْ ببَطْنِ الأرض ثا ... وٍ من شريفٍ ووزيرِ

وصغيرِ الشأنِ عبدٍ ... حاملِ الذكرِ حقيرِ

---

(١) الجاورس : معرب كاورس : حب معروف ، أجود أصنافه الأصفر ، يشبّه بالأرز لقوته . انظر التاج (جرس) .

(٢) الحُوب الكبير : الإثم العظيم . اللسان (حوب) .

لـو تصفَّحْتَ وجـوه الْـ ... ـقَـوْم في يـوم نَضيرِ
لم تميِّـزْهُمْ ولم تَعْـ ... ـرِفْ غنيّـاً من فقيرِ
خَمَـدُوا فـالقـومُ صَرْعَى ... تحت أطبـاقِ الصُّخُـورِ
فـاسْتَـوَوْا عنـد مَليـكٍ ... بمَسَـاويهِمْ خبيرِ
فاحـذرِ الصَّرْعَـةَ يـا وَيْـ ... ـحَـكَ من دَهْرٍ عَثُـورِ
أين فِرْعَـوْنُ وهـامـا ... نَ ونُمْرودُ النُّسُـورِ
أوَ مـا تخشـاهُ أن يَرْ ... ميـكَ بـالمـوت المُبيرِ
أوَ مـا تَحْـذَرُ من يـو ... مٍ عبـوسٍ قَمْطَرِيرِ
إقْمَطَرَّ الشرُّ فيـه ... بـالعـذابِ الـزَّمْهريرِ[1]

[١٣٧/ب] قال : فغُشي على الفُضيل وردَّهُ ولم يأخُذْه .

قال أبو حفص أحمد بن الفضل البخاري :

كنتُ عنـد الفضيل بن عيـاض فجـاءه هـارونُ أميرُ المؤمنين يزورهُ ومعـه أبو قتـادة ، فقال أبو قتادة : رحمك الله ، الخليفةُ على الباب ، فقـال فُضيل : ليس لـه أنْ يزورَنا ، لنـا أنْ نـزورَهُ ! ثم قـال : إنّ أمير المؤمنين على البـاب ، فقـال : يـا أبـا قتـادة ، ليس لـه أنْ يزورنا ، لنا أنْ نزوره ، فارْجِعْ فلا آذَنَ لكم . قال : فرجع هارونُ أمير المؤمنين .

قال الرشيد هارون لسفيان :

أحبُّ أن أرى الفُضيل فقال له : أذهبُ بك إليه ؛ فاستأذنَ سفيان على فضيل فقـال : مَنْ هذا ؟ فقال : سفيـان ، فقـال : ادْخُلْ ، قـال : ومَنْ معي ؟ قـال : ومن معـك . فلما دخلوا عليه قال سفيان له : يـا أبـا علي ، هـذا أميرُ المؤمنين ، فقـال : وإنـك لهو يـا جميل الوجه ! أنت الذي ليس بين الله وبين خَلْقه أحدٌ غيرك ؟! أنت الذي يُسألُ يومَ القيامـة كلُّ إنـانٍ عن نفسه وتُسألُ أنتَ عن هذه الأمّة ؟ فبكى هارون .

وفي حديثٍ بمعناه : فدخل فإذا فُضيل مستقبلٌ القبلةَ بوجهه فقال : يا أبا علي ! هذا

---

(١) اقمطرّ الشر : اشتد . اللسان (قمطر) . والأبيات في شعر عبد الله بن المبارك المنشور في مجلة معهد المخطوطات المجلد ٢٧ الجزء الأول ص ٤٩ ، ٥٠ وسير أعلام النبلاء ٣٦٦/٨ ماعدا الأبيات ٦ و٧ و٨ .

هارون أميرُ المؤمنين قد دخل عليك ! فمكث طويلاً لا يلتفتُ إليه ولا ينظر إليه ، ثم رفع فُضيلٌ رأسه إلى هارون فقال له : يا حسنَ الوجه ، ما أحسن وجهك ! لقد قَلَّدتَ أمْراً عظيماً ، حدَّثني عُبيد المُكْتِب ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وتقطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب ﴾[1] قال : الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا ، وأومى بيده إليهم . قالوا : فبكى هارون وخرج من عنده وحمل إليه تلك الليلة مئة ألف فأبى أن يقبلها .

قال الفَضْل بن الربيع :

حجَّ أمير المؤمنين هارون ، فبينا أنا ليلةً نائمٌ بمكة إذْ سمعتُ قَرْعَ الباب فقلت : مَنْ هذا ؟ قال : أجبْ أمير المؤمنين ؛ فخرجتُ مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليَّ أتيتُكَ ، قال : وَيْحَك إنه قد حَكَّ في نفسي شيء ، فانظُرْ لي رجلاً أسأله ، فقلت : ها هنا سفيان بن عُيَيْنة ، فقال : [١٣٨/أ] امضِ بنا إليه ، فأتيناه فقرعتُ عليه الباب ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلتُ : أجبْ أميرَ المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك ، فقال خُذْ لما جئنا له رحمك الله ، فحادثه ساعةً ثم قال : أعليك دَيْن ؟ قال : نعم فقال : يا عباسي[2] اقضِ دَيْنَه .

ثم انصرفنا فقال : ما أغنى صاحبُكَ شيئاً ، فانظر لي رجلاً أسأله ، فقلت : ها هنا عبد الرزَّاق بن همَّام فقال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : أجبْ أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليَّ أتيتُك ، فقال : خُذْ لما جئناك رحمك الله ، فحادثه ساعةً ثم قال : أعليك دَيْن ؟ قال : نعم ، قال : يا عباسي[2] اقضِ دينه .

ثم انصرفنا فقال : ما أغنى عني صاحبُكَ شيئاً ، انظُرْ لي رجلاً ، فقلت : ها هنا الفُضيل بن عياض ، فقال : امضِ بنا إليه ، فأتيناه ، فإذا هو قائمٌ يصلّي ، يتلو آية يردِّدُها ، فقال لي : اقرعْ ، فقرعت فقال : مَنْ هذا ؟ قلت : أجبْ أميرَ المؤمنين ، فقال : مالي ولأمير المؤمنين ، فقلت : سبحان الله ! أو ما عليك طاعة ؟ أو ليس قد رُوي عن

---

(١) سورة البقرة ١٦٦/٢

(٢) كذا في الأصل والتاريخ ، وفي الحلية ١٠٥/٨ وسير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨ : « أبا عباس » وهو أشبه بالصواب لأنها كنية الفضل بن الربيع .

النبيّ ﷺ أنه قال : ليس للمؤمن أنْ يذلّ[1] نفسه ؟ قال : فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاويةٍ من زوايا الغرفة . قال : فدخلنا فجعلنا نجولُ عليه بأيدينا فسبقَتْ يدُ هارونَ إليه ، فبكى وقال : أوّهْ من كفٍّ ما ألْيَنَها إنْ نجَتْ غداً من عذاب الله ! قال : قلتُ في نفسي ليكلّمَنَّهُ الليلةَ بكلامٍ نقيّ من قلبٍ تقيّ ، فقال له : خُذْ لما جئنا له رحمك الله ، فقال : إنّ عمر بن عبد العزيز لَمّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب القُرَظي ، ورجاء بن حَيْوَة فقال لهم : إني قد ابتُليتُ بهذا البلاء ، فأشيروا عليّ ، فعدّ الخلافةَ بلاءً يا أمير المؤمنين وعددتها أنت وأصحابُك نعمةً . فقال له سالم بن عبد الله : إنْ أردتَ النجاةَ غداً من عذاب الله عزّ وجلّ فصُم [عن][2] الدنيا وليكنْ إفطارك فيها الموت . وقال له محمد بن كعب القُرَظيّ : [١٣٨/ب] إنْ أردتَ النجاةَ من عذاب الله فليكُنْ كبيرُ المسلمين عندك أباً ، وأوسَطُهم عندك أخاً ، وصغيرُهم عندك ولداً ، فوقِّرْ أباك ، وأكرمْ أخاك ، وتحنَّنْ على ولدك . وقال له رجاء بن حَيْوَة : إنْ أردتَ النجاة غداً من عذاب الله فأحبَّ للمسلمين ما تحبُّ لنفسك ، واكْرَهْ لهم ما تكرَهُ لنفسك ، ثمّ مُتْ إذا شئت ؛ ثم إني لأقولُ لك هذا وإني أخافُ عليك أشدَّ الخوف يومَ القيامة ، يومَ تَزِلُّ الأقدام . فهل معك رحمك الله مثلُ هؤلاء مَنْ يأمرك بمثل هذا ؟

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشي عليه ؛ فقلت : ارفُقْ بأمير المؤمنين ، فقال : يابنَ أمّ الربيع تقتله أنت وأصحابُك وأرفق به أنا ! ثم أفاق فقال : رحمك الله زدني ، فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكي إليه فكتب إليه عمر : يا أخي ، اذكُرْ طولَ سهَر أهلِ النار في النار مع خلود الأبَد ، فإنّ ذلك يَطَّرِدُ بك[3] إلى الربِّ نائماً ويقظاناً[4] ، وإياك أنْ ينصرف بك من عند الله فيكون آخرَ العهد ومنقطع الرجاء . فلمّا قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدِمَ على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال خلعتَ قلبي بكتابك ، لا وليتُ ولايةً حتى ألقى الله . فبكى هارونُ بكاءً

---

(١) في الحلية : « ليس للمؤمن بذل نفسه » .

(٢) ما بين معقوفين من التاريخ (س) ١٤٢/١٤ ب .

(٣) يطّرد بك : يدفعك ويجعلك تسرع . انظر اللسان (طرد) .

(٤) كذا بالتنوين ، انظر ص ٩٧ ح ٢ من هذا الجزء .

شديداً ثم قال : زِدْني رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العباس عمَّ المصطفى ﷺ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله أَمِّرْني على إمارة ، فقال له النبيُّ ﷺ : يا عباس ، يا عمَّ النبيِّ ، نفسٌ تنجيها[1] خيرٌ لك من إمارةٍ لا تحصيها ، إنَّ الإمارة حسرةٌ وندامة يومَ القيامة ، فإن استطعتَ أن لا تكونَ أميراً فافعلْ . فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له : زِدْني رحمك الله . فقال : يا حسنَ الوجه ! أنت الذي يسألك الله عزَّ وجلَّ عن هذا الخَلْق يومَ القيامة ؟ فإن استطعت أنْ تقيَ هذا الوجة من النار فافعَلْ ، إياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشٌّ لرعيَّتك ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال : مَنْ أصبح لهم غاشًّا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة . فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشي عليه . ثم قال : [١٣٩/أ] عليك دَيْن ؟ قال : نعم ، دَيْنٌ لربِّي لم يحاسبْني عليه ، فالويل لي إنْ ساءلني ، والويل لي إنْ ناقشني ، والويلُ لي إنْ لم أُلْهَمْ حُجَّتي . فقال : إنما أعني من دَيْن العبادِ . فقال : إنَّ ربي لم يأمُرْني بهذا ؛ أمرَني أنْ أصدِّقَ وَعْدَه ، وأنْ أُطيعَ أمْرَه . فقال : ﴿ وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ ، ما أُريد مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُريدُ أنْ يُطْعِمُونِ ، إنَّ اللهَ هو الرزَّاقُ ﴾[2] فقال له : هذه ألفُ دينار ، خُذْها فأنفقها على عيالك وتَقوَّ بها على عبادةِ ربِّك ، فقال : سبحان الله ! أنا أدُلُّكَ على النجاة وتكافئني بمثلِ هذا ! سلَّمك الله ووفَّقك . ثم صَمَت فلم يكلِّمْنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال لي هارون : يا عباسي[3] إذا دلَلْتني على رجلٍ فدُلَّني على مثل هذا ، هذا أزهدُ المسلمين اليوم .

زاد في رواية : فدخلتْ عليه امرأةٌ من نسائه فقالت : يا هذا ! ترى سوءَ ما نحنُ فيه من ضيق الحال ، فلو قبلتَ هذا المال تَفَرَّجْنا به[4] . فقال لها : مثلي ومثلكم كَمَثَلِ قومٍ كان لهم بعيرٌ يأكلون من كَسْبه ، فلما كبِر نحروهُ فأكلوا لَحْمَه . فلما سمع هارون الكلام قال : أدخلُ فعسى أن يقبل المال ؛ قال : فدخلنا ، فلما علم به الفُضيل خرج فجلس على ترابٍ في السطح وجاء هارون فجلس إلى جنبه ، فجعل يكلِّمُه فلم يُجِبْه . فبينا نحن كذلك إذْ

---

(١) في التاريخ وإحياء علوم الدين ٢٥٠/٢ : « تحييها » .

(٢) سورة الذاريات ٥٦/٥١ ـ ٥٨

(٣) انظر ص ٣٢٣ ح ٢ .

(٤) في الحلية : « فتفرجنا » . فَرَّج الله عنه وفرَّج فانفرج وتفرَّج . اللسان (فرج) .

خرجَتْ جاريةٌ سوداء فقالَتْ : يا هذا آذَيْتَ الشيخ منذ الليلة ! فانصرِفْ رحمك الله . قال فانصرفْنا .

قال : وقال الفُضيل :

تقرأ في وِتْرك : « نَخْلَعُ ونترك من يَفْجُرُك » ثم تعدو إلى الفاجر فتعامله ! قال : وقال[1] الفضيل : لا تنظُرْ إليهم من طريق الغِلْظةِ عليهم ، ولكنِ انظُر من طريق الرحمة . يعني السلطان .

وقال فضيل :

لا تجعلِ الرجال أوصياءك ، كيف تلومُهم أنْ يضيِّعوا وصيَّتَك ؟ وأنتَ قد ضيَّعْتَها في حياتك ! وأنت بعدها تصير إلى بيت الدود ، وبيت الوحشة ، وبيت الظُّلْمة ، ويكونُ زائرَكَ فيه منكرٌ ونكير ، فقبرك روضةٌ من رياض الجنة ، أو حفرةٌ من حُفَر النار . ثم بكى وقال : أعاذنا الله وإياكم من النار .

[١٣٩/ب] وقال : حسناتُك من عدوِّك أكثر منها من صديقك . قيل : وكيف ذلك يا أبا علي ؟ قال : لأنَّ صديقك إذا ذُكرتَ بين يديه قال : عافاه الله ، وعدوُّك إذا ذُكرتَ بين يديه يغتابُكَ الليلَ والنهار ، وإنما يدفع المسكين حسناتِه إليك ، فلا ترضَ حتى إذا ذُكر بين يديك تقول اللهمَّ أهْلِكْهُ ، لا بل ادْعُ الله له : اللهمَّ أصْلِحْه ، اللهمَّ راجعْ به ، فيكون الله يُعطيك أجْرَ ما دعوتَ له .

قال فضيل :

آفة العِلْم النسيان ، وآفة القُرَّاء العُجْبُ والغِيبة ، وأشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة الساعي والنَّمام ، واحذروا أبوابَ الملوك فإنَّها تزيل النعم[2] ، وتذهب بالنعم . قلنا : يا أبا علي ، هذا الحديث الذي جاء « إن عليها فتناً كمبارك الإبل » ؟ قال : لا ، ولكنَّهُ هو الرجل يكونُ عليه من الله نعمة ، لا يكونُ به إلى خلقٍ من خلق الله حاجة ، فإذا دخل

---

(١) في الأصل : « فقال » وما أثبتُّه من التاريخ (د ، س) .

(٢) كذا في الأصل ، وعبارة التاريخ (د) : « تزيل النقم » وأما في (س) ١٤٣/١٤ ب : « تزيد النقم » وهو أشبه بالصواب .

على هؤلاء ورأى ما قد بُسط لهم استصغر ما هو فيه ، فمن ثَمَّ تذهب النعمة أو تزول النعمة .

وقال فُضيل :

ليس الآمرُ الناهي الذي يدخل عليهم يأمرهم وينهاهم ثم يَدْعونَهُ بَعْدُ إلى طعامهم وشرابهم فيجيبهم ، إنما الآمرُ الناهي الذي اعتزلهم ولم يدخُلْ عليهم ، فهو الآمر الناهي .

قال الفضيل :

لم يتزيَّنِ العباد بشيءٍ أفضلَ من الصدق ، واللهُ عزَّ وجلَّ سائلٌ الصادقين عن صدقهم ، فكيف بالكذَّابين المساكين ؟!

وقال : لم يَنْبُلْ مَنْ نبل بالحج ، ولا بالجهاد ، ولا بالصوم ، ولا بالصلاة ، إنما نَبُل عندنا من كان يعقِل أيْشٍ[1] يدخل جوفه . يعني الرغيفين من حِلِّه .

وقال الفُضيل :

المؤمن ينظر بنور الله ، الناسُ منه في راحة ، وهو بركةٌ على من جلس إليه لا يغتابُ أحداً ، كريم الخُلق ، ليِّنُ الجانب ؛ والمنافق عيَّابٌ خيَّاب ، خشِنُ الجانب ، خشن الكلام ، إنْ رأى خيراً كتمه ، وإنْ رأى زلَّةً كشفها ، غضِب الله عليه ، ومَأْواهُ جهنَّم ، لأنَّ الله قال : [١٤٠/أ] ﴿ إنَّ المنافِقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النَّار ﴾[2] .

وقال : إنَّ الفاحشة تشيعُ في الذين آمنوا ، حتى إذا بلغتِ الصالحين كانوا لها خُزَّاناً .

وقال : رحم الله عبداً كسَبَ طيِّباً وأنفق قَصْداً ، وقدَّم فَضْلاً ليوم فقره وفاقته ، رحم اللهُ مَنْ ترحَّم على أصحاب رسولِ الله ، فإنما تُحسِنُ هذا كُلَّه بحبِّك أصحابَ رسولِ الله ﷺ .

وقال الفضيل :

مَنْ أراد الآخرة أضرَّ بالدنيا ، ومَنْ أراد الدنيا أضرَّ بالآخرة ، ألا فأضرُّوا في الدنيا فإنها دارُ فَنَاء ، واعملوا لدار البقاء .

---

(١) انظر ص ٢٠٠ ح ١ من هذا الجزء .

(٢) سورة النساء ١٤٥/٤

وقال : ليكن شغلُكَ في نفسك ولا يكنْ شغلُكَ في غيرك ، فَمَنْ كان شغلُه في غيره فقد مُكر به .

وقال : المؤمن في الدنيا مَغْمُوم يتزوَّدُ ليوم معاده ، قليلٌ فرَحُه . ثم بكى .

وقال : وإياكم والْعُجْب فإنَّهُ يمحو العمل ؛ ومَنْ رمى مُحْصَناً أحْبَط الله عملَه ؛ ومن قال في رجلٍ ما لا يعلم كُتب عند الله كذَّاباً ، ومَنْ كُتب عند الله كذَّابا فقد هلك .

وقال : مَنْ علم الله منه أن يُحب أن يصلح بين الناس ، أصلح الله الذي بينه وبينه وغفر له ذنبه ، وأصلح له أهله وولده ؛ ومَنْ أحبَّ أنْ يفسد بين الناس أفسد الله عليه معيشته .

وكان الفُضيل يقول : هل ترك الموتُ للمؤمن فرَحاً ؟ وإنما المؤمن يصبح مغموماً ويمسي مغموماً ، وإنما دهره الهَرَبُ بدينه إلى الله عزَّ وجلّ .

وكان يقول : خلقٌ كثير مَنْ يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر لا يقبَلُ الله منهم ذلك ، وذلك لأنهم يريدون به غير الله ، وقد يكون الرجل الواحد يأمر العباد فيقبلون منه ، فينجي الله به العباد والبلاد .

وكان يقول : طوبى لمَنْ نظر في مطعمهِ ومَشْرَبه وجعله من حِلِّه ، وبكى على خطيئته .

وكان يقول : عليكم بالشكر فإنه قلَّ قومٌ كانت عليهم من الله نعمة فزالت عنهم إلا لم تَعُدْ إليهم أبداً .

وكان يقول : من ازداد علماً فَلْيَزْدَدْ شكراً ، إنَّ المنافق كلَّما ازداد علماً [١٤٠/ب] ازداد عمًى .

وقال : إنَّ لله عباداً لا يَرفع لهم إلى الله عمل ، وهم أصحاب الرياء الذين يكون حبُّهم في غير الله ، إنْ أُعطوا رضُوا ، وإنْ مُنعوا سخطوا ، فَمَنْ كان كذلك ورَّثهُ الله العمى .

وقال الفضيل :

اجعلوا دينكم بمنزلة صاحب الجوز ، إنَّ أحدكم يشتري الجوز فيحرِّكُه ، فما كان من

جيد جعله في كمه ، وما كان من رديء ردَّه ؛ وكذلك الحكمة ، مَنْ تكلم بحكمة فاقبَلْ منه ، ومن تكلَّم بسوى ذلك فدعه .

وقال الفضيل :

لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما صيَّرْتُها إلاَّ في الإمام . قيل : وكيف ذلك يا أبا عليّ ؟ قال : متى صيَّرْتُها في نفسي لم تَجُزْني ، ومتى صيَّرْتُها في الإمام ، فإصلاح الإمام إصلاحُ العباد والبلاد ، قيل : وكيف ذلك ياأبا عليّ ؟ فسِّرْ لنا هذا ، قال : أمَّا إصلاحُ البلاد فإذا أمِنَ الناسُ ظُلْمَ الإمام عَمَرُوا الخراب ، فتزكو الأرض ، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل ، يقول : قد شغلهم طلبُ المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تَعلُّم القرآن وغيره ، فيجمعهم في دار ، خمسين خمسين ، أقل أو أكثر ، يقول لرجل : لك ما يُصلحك وعلِّمْ هؤلاء أمر دينهم . وانظُرْ ماأخرج الله من فيهم مما يُزْكي الأرض فردَّهُ عليهم . فقال : كذا صلاحُ البلاد والعباد .

قال رباح الكوفي :

إنَّ ابن المبارك قبَّل جبهتَهُ في هذا الحديث فقال : يامعلم الخير من يُحسِنُ هذا غيرُك ؟

وقال الفضيل :

مالكم وللملوك ؟ ماأعظمَ مِنَّتَهم عليكم أنْ قد تركوا لكم طريقَ الآخرة ! فاركبوا طريق الآخرة ، ولكنْ لاترضَوْن ، تعيبونهم بالدنيا ثم تزحمونهم على الدنيا ! ماينبغي لعالمٍ أنْ يرضى بهذا لنفسه .

وقال الفضيل :

إنما ينبغي للدنيا أنْ تتلاعبَ بالجاهل لابالعالم . وقالوا له : لو كلَّمْتَ هارون في أمر الرعيَّةِ فإنه يحبُّك . قال : لستُ هناك ؛ فكرَّر القولَ عليه [١٤١/أ] فقال : لو كنتُ داخلاً عليه يوماً ماكلَّمْتُهُ إلاَّ في علماء السَّوْء ، أقول : ياأمير المؤمنين ، إنه لابدَّ للناس من راعٍ . ولابدَّ للراعي من عالم يشاوره ، ولابدَّ له من قاضٍ ينظرُ في أحكام المسلمين ، وإذا كان لابدَّ من هذين الرجلين فلا يأتك عالمٌ ولاقاضٍ إلاَّ على حمارٍ بإكافٍ خلفه أغبر ، فبالْحَرَى أنْ

يُؤدُّوا إلى الراعي والرعيَّة النصيحة ؛ يا أمير المؤمنين ، متى يطمعُ العلماء والقضاة أنْ يُؤدُّوا إليك النصيحة ومَرْكبُ أحدهم بكذا وكذا ؟ فإذا حملتهم على حُمُرٍ بأُكُف ، فبالحَرَى أنْ يؤدُّوا إليك النصيحة .

وقال الفضيل :

لو تعلمون ماأعلم لم يهنكمْ طعامٌ ولا شراب .

مات ولَدُ بعضِ العلماء بمكة ، فأتاه جماعةٌ من العلماء يعزُّونه فلم يتعزَّ ، فأتاه الفضيل فقال : ياهذا ، ماترى في رجلٍ كان في سجن هو ووولده[1] ، فأُخرج ولَدُه من السجن ، فأولى به أن يفرح أو يحزن ؟ فقال الرجل : أولى به أن يفرح ، قال : فإنك كنت أنت وابنك في سجن وأُخرج ابنك من السجن . فقال : تعزَّيتَ والله .

قال الفضيل :

أتيتُ في منامي فقيل لي : يافضيل اذكُرِ الله ، فإنه مامن أحد يوم القيامة إلا وَدَّ أنه زيد في صحيفته مثقالُ حبَّةٍ من خَرْدَلٍ من برّ ، ولو كان داودَ عليه السلام .

احتبس على الفضيل بن عياض بولُه فقال : سيِّدي ! أطلِقْهُ عني . فما بال ، فقال في الثانية : وعزَّتك لو قطعتني إرْباً إرْباً مازدَدْتُ لك إلاَّ حُبًّا . فما بال ، فقال في الثالثة : بحُبِّي لك إلاَّ ماأطلقتَهُ عني . فما برحنا حتى بال .

قال فضيل بمكة :

لاتؤذوني ماخرجتُ إليكم حتى ثلاثٍ وستين مرَّة أو نحواً من ستين مرَّة . وذلك قبل الظهر .

ومِمَّا أنشد فضيل بن عياض : [من الرجز]

يا أيُّها الذاهب في غَيِّهِ ... مَحْصولُ ما تطلبُهُ القُوتُ
والأمْرُ قدَّامَكَ مستَعْظَمٌ ... قد جلَّ أمْرٌ بَدْؤُهُ المَوْتُ

---

(١) في الأصل « ووالده » فأظنه سبق قلم .

[١٤١/ب] قال رجلٌ من أهل مكة :

كنا جلوساً مع الفضيل فقلنا : يا أبا علي كم سنُّك ؟ فقال : [من المتقارب]

بلغتُ الثمانينَ أو جُزْتُهـــا ... فمـــاذا أؤمِّـــلُ أوْ أنتظِرْ
أتَتْ لي ثمـانـون من مـولـدي ... ودون الثمانين مـــا يَعتبِرْ
علَتْني السُّنـــونَ فـــأبْلَيْنَني ... ...

ثم نهض ، فلما ولَّى التفتَ وقال :

... ... فـــدقَّ العظـــام وكلَّ البَصَرْ[1]

قال القاضي[2] :

ولد [تُ][3] سنة ستين ومئة . وأنشد [نا][3] : [من البسيط]

عقْـدُ الثمانين عقـد ليس يبلغُـهُ ... إلاَّ المـؤخَّرُ لـلأخبـــار والعِبَرِ

ومن شعر الفضيل بن عياض : [من البسيط]

إنَّـا لنفرَحُ بـالأيَّـامِ نَـدْفَعُهـا ... وكلُّ يـومٍ مضى نَقْصٌ من الأجَـلِ
فاعْمَلْ لنفسـك قبل الموتِ مجتهداً ... فـإنمـا الرِّبْـحُ والخُسْرانُ في العَمَـلِ

توفي الفضيل بن عياض سنة ستٍّ وثمانين ومئة . وقيل سنة سبعٍ وثمانين بمكة .

قال بعض المكيِّين :

رأيتُ سعيد بن سالم القـدَّاح في النوم فقلت : مَنْ أفضَلُ مَنْ في هـذه المقبرة ؟ فقـال : صـاحبُ هـذا القبر ، قلت : بمَ فضلكم ؟ قـال : إنـه ابتُلي فصبر ، قلت : مـا فعل فُضيل بن عياض ؟ قال : هيهات ! كُسي حُلَّةً لا تقوم لها الدنيا بحواشيها .

---

(١) وفي رواية أخرى : « فدقت عظامي » وهو كناية عن الكِبَر .

(٢) القاضي : هو أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور كما هو بيِّنٌ في سند ابن عساكر ، وفيه تصحف إلى محمد ، والخبر في ترجمته في تاريخ بغداد ٢٥٨/٤

(٣) ما بين معقوفين من التاريخ (د ، س) وتاريخ بغداد . قلتُ : يبدو أن راوي الخبر عن القاضي أبي بكر - وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان - ساق البيت في نهاية الخبر لمشاكلته لأبيات الفضيل المتقدمة ، فلعل ابن منظور وهِل في إسقاط ما أثبتُّه من التاريخ فظنّ أنه يؤرخ لولادة الفضيل .

١٢٣ ـ فُقَيم[1] بن الحارث

شهد صِفّين مع معاوية بن أبي سفيان .

كانت رايةُ بَجيلةَ في أُحْمَس مع أبي شداد بصِفّين ، واسمه قيس بن مَكْشُوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أُحْمَس بن الغَوْث بن أنمار . فقالت بَجيلة : خُذْ رايتَنا اليوم ، فقال لهم : غيري خيرٌ لكم مني . فقالوا : ما نريد غيرك ، فقال : والله لئنْ أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحبِ [١٤٢/أ] التُّرْسِ المُذْهَب . وعلى رأسِ معاويةَ رجلٌ قائمٌ معه تُرْسٌ مُذْهَب [يسترُهُ من الشمس ـ قالوا : اصنع ما شئت . فأخذها][2] ثم زحف نحوهم وهو يقول : [من مشطور الرجز]

إنَّ عليًّا ذو أناةٍ صارمُ
جلدٌ إذا ما تحضرُ العزائمُ
لَمّا رأى ما يفعل الأشائمُ
قام لدى ذروته الأكارمُ[3]
الأشيبانِ مالك وهاشمُ

ثم زحف فجعل يقاتلُ حتى انتهى إلى صاحب الترس ، وكان في خيلٍ عظيمة ، فاقتتل الناس هناك قتالاً شديداً ، وكان صاحب الخيل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فشدَّ أبو شدَّاد بسيفه نحو صاحب التُّرْس ، فعرض له روميٌّ لمعاوية فضرب قدم أبي شدَّاد فقطعها ،

---

(١) انظر الصفحة الآتية ٣٣٣ ج ٢ .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من الأصل والتاريخ (س) ، استدركته من « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم ص ٢٩٢ لأن ابن عساكر يرويه عنه كما هو بيّنٌ في سنده .

(٣) كذا رواية الأصل ، وفي التاريخ (د) و (س) ١٤٦/١٤ أ : « قام لذا ذررُه الأكارمُ » وفي وقعة صفين : « قام له الذروةُ والأكارم » وفي الفتوح لابن أعثم ٢٤٢/٣ : « قام قيام الذروة الأكارم » .

وضربه أبو شدّاد فقتله ، وأُشرعَتْ إليه الأسنّة [فقُتل][1] فأخذ الراية عبد الله بن قلْع الأحْمَسي فجعل يقاتلُ ويقول : [من مشطور الرجز]

لا يُبعِدِ اللهُ أبـا شـدّادِ
حيثُ أجابَ دعوةَ المنادي
وشدَّ بالسيف على الأعادي
نِعْم الفتى قد كان في الطِّرادِ
وفي طِعانِ الخيل والجلادِ

وقاتل حتى قُتل ، فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلْع فقُتل ، فأخذها عفيف بن إياس الأحْمَسي ، فلم تزلْ بيده حتى تحاجز الناس ، وقُتل حازمُ بن أبي حازم الأحمسي أخو قيس بن أبي حازم وقتل نُعيم بن شهيد بن الثعلبيَّة فأتى ابنُ عمه فُقَيم بن الحارث[2] إلى معاوية ـ وكان مع معاوية ـ فقال : إنَّ هذا القتيل ابنَ عمي ، فهَبْهُ لي [أدْفِنْه][1] ، فقال : لا تدفِنْهُمْ فإنه ليسوا لذلك بأهل ، فوالله ما قدرْنا على دفن عثمان إلاَّ سِرّاً . فقال : لتأذَنَنَّ لي في دَفْنه أو لألحقنَّهم ولأدَعَنَّك . فقال له معاوية : ترى أشياخَ العرب لا نواريهم وأنت تسألُني دفنَ ابنِ عمِّك ! ادفنْهُ إنْ شئت أو ودَعْه . فأتاه فدفنه[3] .

---

(١) ما بين معقوفين ساقط من الأصل والتاريخ (س) ، استدركته من « وقعة صفين » لنصر بن مزاحم ص ٢٩٢ لأن ابن عساكر يرويه عنه كما هو بيّنٌ في سنده .

(٢) رواية نصر بن مزاحم في وقعة صفين والطبري في تاريخه : « وقتل نعيم بن صهيب بن العُلَيَّة البجلي يومئذ ، فأتى ابن عمه وسمّيه نعيم بن الحارث بن العُلَيّة معاويةَ ... » فإن صحت هذه الرواية يكن « فقيم » مصحّفاً وموضع ترجمته بحرف النون .

(٣) الخبر في وقعة صفين ص ٢٩١ ـ ٢٩٣ وكذا في تاريخ الطبري ٢٥/٥ ، ٢٦ وقد سقط منه شعر قيس ، وأورد ابن الأعثم في فتوحه طرفاً منه ٢٤٢/٣ ، ٢٤٤ .

١٢٤ ـ فُلَيح بن العوراء المكّي[١]
مولى بني مخزوم

[١٤٢/ب] قال إبراهيم بن المهدي :

كتب إليَّ جعفر بن يحيى وأنا عامل الرشيد على جند دمشق : قد قدم علينا فُليح بن العوراء فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناءٍ سمعناه قبله ، وأنا مُحتالٌ لك في تحصيله عندك لتستمتع به كما استمتعنا . فلم ألْبَثْ أنْ ورد عليَّ فُليح بكتاب الرشيد يأمرُ له بثلاثة آلاف دينار ، فورد[٢] عليَّ منه رجلٌ ذكَّرني لقاؤه الناس ، فأخبرني أنه قد ناهز المئة سنة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جواريَّ كلَّ[٣] ما كان معه من الغناء ، وانتشر بعضُ أغانيه بدمشق . قال يوسف[٤] : ثم قدم علينا شابٌّ من المغنين مع عليِّ بن زيد بن الفرج الحرَّاني عند مقدم عنبسةَ بن إسحاق فسطاطَ مصر يقال له موفق ، فغنَّاني من غناء فُليح : [من السريع]

يا قُرَّة العينِ اقْبَلي عذري ... ضاق بهِجْرَانِكم صدري
لو هلَكَ الهَجْرُ استراح الهوى ... ما لقي الوصْلُ من الهَجْرِ

فلم أر بين ماغنَّاه وبين ماسمعتُ في دار أبي إسحاق فرقاً ، فسألته : من أين أخذه ؟ فقال : أخذتُه بدمشق . فعلمتُ أنه ممَّا أخذه أهلُ دمشق عن فُليح بن العوراء .

١٢٥ ـ فهد بن سليمان بن يحيى
أبو محمد الكوفي النحاس

سمع بدمشق .

حدث عن أبي مُسْهر بسنده إلى أمِّ سلَمة قالت : قال رسولُ الله ﷺ :
لا تصحبُ الملائكةُ رُفْقةً فيها جَرَس .

---

(١) كذا في الأصل والتاريخ ، وفي الأغاني ٩٨/٤ ط بولاق : « فليح بن أبي العوراء » وكذا نقله خليل مردم في جمهرة المغنين ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) في الأصل : « فورحل » وما أثبتُّه من التاريخ والأغاني ١٠١/٤ ط بولاق .

(٣) في الأصل : « كلُّها » .

(٤) يوسف : هو ابن إبراهيم راوي الخبر عن إبراهيم بن المهدي كما في سنده .

وحدث عن قُطْبَةَ بنِ العلاء الغَنَويِّ بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ :

ماذئبانِ ضاريانِ في حَظيرةٍ وثيقة ، يأكلان ويَفْرِسان بأسرعَ فيها من حُبِّ الشرف وحُبِّ المالِ في دينِ المسلم[1] .

توفي فهد بعصر سنة خمس وسبعين ومئتين . وكان ثقةً ثَبتًا .

١٢٦ ـ فهد بن موسى بن أبي رباح

[١٤٣/آ] أبو الخير الأَزْدي الإسْكَنْدَريّ

قاضي الإسكندريَّة . قدم دمشق .

حدث بدمشق عن عبد الله بن عبد الحكم بسنده إلى أبي سعيد الخُدْريِّ قال : قال رسولُ الله ﷺ :

لا يضرُّ أحدكم بقليلٍ من ماله يروح أمْ بكثير إذا أشهد .

وحدث عنه بسنده إلى أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

مَنْ عَمِل عَمَلَ قومِ لُوط فارْجموه وارْجُموا مَنْ يُفعل به .

توفِّي فهد سنة سبعين ومئتين .

١٢٧ ـ فيَّاض بن عبد الله الدمشقي

روى عن سعيد بن عمرو بسنده إلى ابن عمر

أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن بيع الولاء ، وعن هبته .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤٥٦/٣ و٤٦٠ والترمذي في سننه ١٦/٤ (٢٤٨٢) أبواب الزهد بنحوه من طريق كعب بن مالك الأنصاري ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ويُروى في هذا الباب عن ابن عمر ولا يصح إسناده . وساقه المعافى في الجليس ٤٢٨/١ ولفظه « ويفترسان » .

١٢٨ ـ فياض بن عمرو

كاتب يحيى بن حمزة ، القاضي .

حدث عن الزُّهْري مرسلاً عن نافع ، عن ابن عمر عن النبيِّ ﷺ قال :

مَنْ أتى الجمعة فَلْيغتسِلْ .

ووُجد في كتاب فياض بن عمرو عن صدقة بن عبد الله بسنده إلى أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال :

إنَّ الله يقول : إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعمَلْها فاكتُبوها حَسَنة .

١٢٩ ـ فياض بن القاسم بن الحَرِيش بن حرب
ابن الحريش ، أبو علي

حدث عن شُعيب بن عمرو بسنده إلى النزّال قال : قال أبو مسعود :

أُغمي على حذيفةَ أولَ الليل ثم أفاق فقال : أيُّ الليل هذا يا أبا مسعود ؟ فقلت : السحَرُ الأكبر الأعلى . فقال : عائذٌ بالله من جهنم ـ يقول ذلك مرَّتين أو ثلاثاً ـ ابتاعوا لي ثوبين ولا تُغالوا فيهما فإنَّ صاحبكم إنْ يُرضَ عنه يُكْسَ خيراً منهما ولا يُسلبهما سَلْباً سريعاً .

وحدث سنة ثلاثين وثلاث مئة عن أبي محمد شعيب بن عمرو بسنده إلى عبد الله قال : قال النبيُّ ﷺ :

حَبَسُونا عن صلاة الوسطى [١٤٣/ب] حتى غابتِ الشمس ملأ اللهُ بطونَهُمْ وقبورَهُمْ ناراً .

توفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة .

١٣٠ ـ فيروز أبو عبد الرحمن
ويقال أبو عبد الله ، ويقال أبو الضحَّاك الدَّيْلَمي

وفد على سيدنا رسولِ الله ﷺ ، وهو الذي قتل الأسودَ الكذَّاب . ووفد على معاوية .

قال فيروز :

قدمتُ على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله إنَّا أصحابُ كروم وأعناب ، وقد

نزل تحريمُ الخمر ، فماذا نصنع بها ؟ فقال : تتخذونَهُ زبيباً . قال : فنصنعُ بالزبيب ماذا يارسول الله ؟ قال : تنقعونه على غَدائكم وتشربونه على عَشائكم ، وتنقعونه على عَشائكم وتشربونه على غَدائكم . قال : قلتُ : يا رسولَ الله أفلا نتركه حتى يشتد ؟ قال : فلا تجعلوه في الدِّنَان .

وفي رواية :

فلا تجعلوهُ في القِلال ولا في الدُّبَّاء ، واجعلوه في الشِّنَان ، فإنه إنْ تأخَّر عن عصره صار خلاً . قال : قلتُ يا رسول الله ، نحن ممَّنْ قد علمت ، ونحن بين ظَهْرانَيْ مَنْ قد علمت ، فَمَنْ وليُّنا ؟ قال : اللهُ ورسولُه . قال : قلتُ حَسْبُنا يا رسولَ الله .

حدث عبد الله بن الدَّيْلميّ عن أبيه قال :

قدمنا على النبيِّ ﷺ برأس الأسود العَنْسيِّ الكذاب ، فقلنا : يا رسول الله ، قد علمتَ مَنْ نحن ، فإلى مَنْ نحن ؟ قال : إلى اللهِ ورسولِه ... الحديث .

مرَّ فيروز بن الديلمي يريد الشام إلى معاوية ، فلم يدخل على عائشة ، فلما أقبل من الشام دخل عليها ، فقالت : يا بن الديلمي ! مامنعك أنْ تمرَّ بي ، أرَهْبَةُ معاوية ؟ لولا أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا يدخل الكذاب وقاتلُه مدخلاً واحداً . ماأذِنتُ لك .

وكان بالين من أصحاب رسولِ الله ﷺ فيروز بن الديلمي - وهو من الأبناء - فانتسبوا إلى بني ضَبَّةَ وقالوا : أصابنا سَبْيٌ في الجاهلية .

[١٤٤/آ] وقيل : إنَّ فيروز من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن ، فنَفَوْا الحبشةَ عنها وغلَبُوا عليها . وفيروز هو الذي قتل الأسود بن كعب العَنْسي الذي كان تنبَّأ باليمن ، فقال رسولُ الله ﷺ : قتله الرجلُ الصالح فيروز بن الدَّيْلَمي . وبعضهم يقول : فيروز الحِمْيَري ، وهما واحد . وقيل له الحميري لنزولِهِ في حِمْيَر ، ومخالفتِهِ إيَّاهم . وتُوفي فيروز زمنَ عثمانَ بنِ عفَّان .

وعن ابن الديلمي

أنه سأل النبيَّ ﷺ إنَّا منك بعيد ، ونشرب شراباً من قمح ، فقال : أيُسكر ؟ قلت : نعم . قال : لاتشربوا مُسْكِراً . فأعاد ثلاثاً قال : كلُّ مُسْكِرٍ حرام .

وهو فيروز بن يسع بن سعد بن ذي حَباب[1] بن مسعود . وفد مع معاذ بن جبل على سيِّدنا رسولِ الله ﷺ ، وهو الذي قتل الأسود العَنْسي المتنبِّئ ، وقدم برأسه على النبيِّ ﷺ ، وقيل على أبي بكر .

وقيل في مقتل العنسي أن داذويه وقيساً وفيروز دخلوا عليه ، فحطَّم فيروز عنقه فقتله . ويقال قتله قيس بن مكشوح .

حدث النعمان بن بُرُزْج[2] قال :

خرج الأسود الكذَّاب ، وكان رجلاً من بني عَنْس ثم من بني صَعْب ، وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق وللآخر شقيق ، وكانا يخبرانه بكلِّ شيء يحدثُ من أمر الناس ، فسار الأسود حتى أخذ ذِمار[3] ، وكان باذان إذْ ذاك مريضاً بصنعاء ، فجاءه الرسول فقال له بالفارسيَّةِ كلاماً وأجابه ومات ، فجاء الأسودَ شيطانه في عِصارٍ من الريح وهو على قصر ذِمار ، فأخبره بموت باذان . فنادى الأسود في قومه فقال : يالَ يَحَابِر ـ ويَحَابِرُ فخِذٌ من مُرَاد ـ إنَّ سحيقاً قد أجار ذِمار وأباح لكم صنعاء ، فاركبوا واعْجَلُوا . فسار الأسود ومن معه من عَنْس وبني عامر ومُرَاد وحِمْيَر حتى نزلوا بهم المِقْرانة[4] ، فخرج عليهم الأساور عليهم دَاذويه ، وكان قد [١٤٤/ب] استخلفه باذان ـ وكان داذويه ابنَ أختِ باذان ـ فكره إمارةَ داذويه الذين كانوا مع وهرز ومع المَرْزُبان ؛ فلما سمع ذلك داذويه منهم صرف فرسه فرجع إلى صنعاء قبل أن يلقاهم ، وانصرف جميع قومه واتَّبعهم الأسود ومن معه ، والقرية يومئذ بأبوابها فأوثقوا بينهم وبينه الأبواب ، ونزل الأسود ومَنْ معه على باب قصر النُّوْبَة فقال الأسود : إنَّ الأرض أرضي وأرض آبائي فاخرجوا منها والْحَقُوا بأرضكم وأنتم آمنون

---

(١) ضبط الحاء المهملة من الأصل .

(٢) كذا الأصل بتقديم الراء على الزاي ، وكذا في الإصابة القسم الثالث في ترجمة النعمان (٨٨٦٨) ، وفي طبقات ابن سعد ٣٣/٥ وتاريخ الطبري ١٥٨/٣ بتقديم الزاي . وقد ضبطه ابن ماكولا في الإكال ٢٥٥/١ ، ٢٥٦ بالوجهين ولم يذكر النعمان . وبَرْزج بالفارسية تعني : عظيم ، نجيب ، قوي . المعجم الذهبي ص ١١٢ .

(٣) ذمار : بكسر أوله وفتحه ، هو اسم قرية بالين على مرحلتين من صنعاء . انظر معجم البلدان ٧/٣ واللسان (ذمر) .

(٤) المقرانة : حصن بالين . معجم البلدان ١٧٤/٥ .

شهراً على أنْ تعطوني السلاح . فصالحوه على ذلك ، فخرج منهم إلى المِضْمار[1] مَنْ خرج ، وارتحل منهم من ارتحل ؛ كلُّ أهلِ رُسْتاق وحدهم وبقيَّتُهم متجهِّزون . ودخل الأسود ومَنْ معه إلى القرية . فاستنكح المَرْزُبانةَ امرأةَ باذان ، فأرسلَتْ إلى داذويه وفيروز وخرزاذ بن بُرْزْج واسمه عبد الحميد ، وإلى جرجست[2] بن الديلميّ فقالت : فرشتموني هذا الشيطان فأتمِرُوا به وأنا أكفيكموه . وكان قيس بن عبد يَغُوث قال للأسود : قد عرفتَ الذي بيني وبين أهل هذه القرية وأنا أتخوَّفُهم . فاستأذنَهُ أنْ ينزل خارجاً عن القرية ، فأذن له فنزل هو وقومُه تحت نَقْم[3] ، وكان يتخوَّف قتل الأسود وداذويه وأصحابه ، وكان لا يستطيعُ رجلٌ منهم أن يكلِّم صاحبه لأن سحيقاً كان يبلِّغ ذلك الأسود فيخبرهم الأسودُ بذلك . وكان الأسود يخرج كُلَّ يوم إلى الجبَّانة فيجلس فيها ويخطُّ عليه خطّاً فيأتيه رجلٌ فيقول : السلام عليك يا رسولَ الله ، وكان الأسود يقول لقيس إنَّ سحيقاً يقول : لتنزعَنَّ قُبَّةَ قيسٍ العُلْيا أو ليفعلَنَّ بك أمراً يُرى . فيقول قيس : أيها الملك ، ما كنتُ لأفعل . فجاء قيس إلى داذويه وأصحابه ثلاث مرَّات يقول لهم : ألا تقتلون هذا الشيطان ! فلا يردُّون عليه شيئاً تخوُّفاً أنْ يبلغ ذلك الأسود ، وكانوا يظنُّونَهُ غَدْراً من قيس [١٤٥/آ] وكان الأسود إذا غضب على رجلٍ حرقه بالنار .

فجاء قيس إلى فيروز - وهو أصغر القوم - فذكر ذلك له فقال له فيروز : إنْ كنتَ صادقاً فأْتنا الليلة . فجاءهم من الليل ، فاجتمع داذويه وفيروز وجرجست ومعهم قيس ، وكان على باب الأسود ألفُ رجلٍ يحرسونه وهو في بيوت باذان ، وكان بيوت باذان في مؤخر المسجد اليوم ، وكان موضع المسجد حائطاً لباذان ، فأرسلَتْ إليهم المَرْزُبانةُ أني أكفيكموه . فجعلت تسقيه خَمْرَ ضَلَع[4] ، فكلَّما قال : شوبوه صبَّت عليه من خمر ثنات[5] حتى سكر ،

---

(١) المضار : حصن من حصون اليمن لحمير ، على ميل ونصف من صنعاء . معجم البلدان ١٤٦/٥ .

(٢) كذا الأصل ، واضطرب إعجامها في التاريخ (د) و (س) ؛ وفي الإكمال ١٥٢/٣ وتبصير المنتبه ص ٣٥١ : « جُنْبيش » وهو أشبه بالصواب .

(٣) نقم : جبل مطلٌّ على صنعاء اليمن ، يروى بضمتين وفتحتين ، وبفتحة وضمة مثل عَضُد . انظر معجم البلدان ٣٠٠/٥ .

(٤) ضَلَع ، بفتح أوله وثانيه : موضع باليمن ، ويقال فيه : « ضَيْلَع » بالمهملة واليماء المثناة من تحتها . معجم ما استعجم ٨٨١/٣ و ٨٤٩ .

(٥) ثنات : كورة باليمن . معجم البلدان ٧٠/٢ والتاج (ثوت) وصحفت في معجم ما استعجم ٣٣٣/١ إلى ثاث .

فدخل في فراش باذان ـ وكان من ريش ـ فانقلب عليه الفراش ، وجعل داذويه وأصحابه ينضحون الجَدْر[1] بالخل ويحفرونه من نحو بيوت أهل بُرْزُج ويحفرونه بحديدة حتى فتحوا الجَدْر قريباً منه ، فلما فتحوا قالوا لقيس : أنت خامسنا ونحن نتخوَّف غدرك ، فوالله لاترثنا الحياة إنْ قدر علينا ولكنه يدخل منا رجلان ورجلان عندك . فدخل داذويه وجرجست ووقف فيروز وخرزاذ مع قيس ، فجعلتِ المرأةُ تشير إليه أنه في الفراش فلم يُرزقا قتله فخرجا إلى أصحابها ، فقال لهما فيروز : ما فعلتما ؟ قالا : لم يوافقنا الأمر . قال : امْكُثا عند قيس . ودخل فيروز الديلمي وابن بُرْزُج ، فأشارت إليهما المرأةُ أنه في الفراش ، فتناول فيروز برأسه ولحيته فقصر عنقه فدقَّها ، وطعنه ابن بُرْزُج بالخنجر فشقَّه من تَرْقُوته إلى عانته ، ثم احتزَّ رأسه وخرجوا ، وأخرجوا المرأة معهم وما أحبُّوا من متاع البيت إلى غُمْدان .

قال النُّعْمان : وحملتُ أُمِّي على عنقي حتى أدخلتُها معهم وما أحبُّوا قصر غُمْدان[2] . فاستحرزوا فأصبحوا قد سدُّوه عليهم ، فتناول قيس رأس الأسود فرمى به من رأس القصر إلى الحرس الذين كانوا على بابه ؛ وصرخ القوم : المِضْمار المضمار ! فظنُّوا أنَّ الرأس جاء من المِضْمار ، فلما رمى قيس بالرأس أخذ فيروزُ برجله ليرميَ به من رأس [١٤٥/ب] القصر ، فاحتضنَهُ داذويه من ورائه فمنعه وقال : خون خون[3] . وأغار صحابةُ الأسود إلى المِضْمار ، فقاتلهم الذين كانوا بالمضمار بالحجارة حتى أدخلوهم القرية ؛ فلما أدخلوهم القرية عقدوا اللواء ، وكان الذي عقده سعيد بن بالويه ، وقُتِل هو وأصحابُه صحابةَ الأسود حتى خاضت الخيل إلى ثُنَنِها[4] ، وخرج فيروز وأصحابه فلقي منهم أربعين رجلاً من رؤوسهم فأدخلوا القَلَمَّس[5] ، فاستوثقوا منهم وقالوا : لاتبرحوا أبداً حتى يُردَّ كلُّ شيءٍ أُخذ من صنعاء من صغيرٍ أو كبيرٍ أو متاع ، وإلاَّ ضربنا أعناقكم . فجعلوا لهم أن يفعلوا ، وجزُّوا نواصيَهم . قال : فارتهنوها كل ناصية رجل بما كان في قومه . وكانوا يردُّون القِدْر يجدونها بعد السنة ؛

---

(١) الجدر : الجدار . اللسان (جدر) .

(٢) انظر وصف هذا القصر في معجم البلدان ٢١٠/٤ .

(٣) خون : كلمة فارسية تعني : دم . (المعجم الذهبي) .

(٤) في الأصل « سسها » مهملة الحروف وإلى جانب السطر (ط) ، وأثبتُّ ماهتديتُ إلى قراءته ، والثُّنَن : شعرات في مؤخر حافر الفرس من اليد والرجل ، وفي حديث نهاوند : وبلغ الدمُ ثُنَن الخيل . اللسان (ثنن) .

(٥) القلمس : البئر الكثيرة الماء من الركايا . اللسان (قلمس) .

ولم يكن الأسود مكث بصنعاء إلاّ خمس ليال ، فقُتل في الليلة الخامسة ؛ فلما فرغ من الأسود وأصحابه ، وتفرَّق مَنْ كان معه قال قيس لداذويه وفيروز وهو يريدُ أن يغدُرَ بهما : اذهبا بنا نتحرف بثات[1] حتى يأتينا بيانُ أمرِ هذا الرجل ـ يعني سيِّدَنا رسولَ الله ﷺ ـ وكان لقيس امرأة بثات وهي بنت حمزة بن كارين[2] ، فخرجا معه حتى دخلوا ثات ، فنزل داذويه وفيروز في بيت باذان الذي بثات ، وهو في مسجد أهلِ ثات اليوم . وكان قيس يرسل إليهما بالطعام والشراب وهو ينظر كيف يغدر بهما ، وكان فيروز في حجر داذويه ، وكان قيس قد حَذِق بكلام الفارسية ، فأشرف قيس إلى داذويه وفيروز من بيته ، ولم يكن بين منزلهما وبيت قيس إلاّ السكة ، فقال لداذويه بالفارسية : يا أبا سعيد ، هل لك في غَداءٍ حِمْيَريّ ؟ فقال داذويه : وما هو ؟ قال : نان كرمه وسنبدام كَنْدَرَه وماهيه تازه[3] . قال : نعم . قال : فإنْ كان ذلك من حاجتك فارتفعْ [١٤٦/أ] إليّ . فلما قام إليه داذويه منعه فيروز فقال داذويه : إنك صبيٌّ أحمق ، وما يهمُّني منهم . وكان داذويه إذا أخذ سيفه لم يُبالِ لو لقي ألف رجل ؛ وكان قيس قد خبأ له في مؤخَّرِ البيت اثني عشر رجلاً ، وقال لهم : لا تخرجوا إليه أبداً حتى تعلموا أنه قد وضع سيفه . فجاء داذويه وأبى فيروز أنْ يأتيه ، فجعل يحمل عليه الخمر حتى صرعه الخمر ، فقال : يا أبا سعيد ! ضَعْ هذا السيف لا يعيشك ، وضع رأسك حتى تفيق . فعلَّق سيفه فوق رأسه واضطجع ، فخرج عليه القوم الذين خبأ قيس بأسيافهم ، فكلَّما أراد أنْ يأخذَ سيفه صُرع حتى قتلوه . وأشرف على فيروز فقال : أترهبني يا بن الديلمي ؟ فقال : أمّا وهذا السيف معي فلا . وخرج بفرسه يقوده . وأرسل بسرجه مع وليدته تلقاه به إلى الماء في مشغلها . فقال : أين تريدُ بفرسك ؟ قال : أريد أنْ أسقيه . فأسرج فرسه ثم جعل يخبُّ إلى جنبه . وأرسل قيس إلى بني صعب أنَّ عندي قاتلَ أخيكم إنْ أردتموه . فجاء منهم ستون فارساً وقد خرج فيروز يخبُّ خبَبَ فرسه .

وأخبر ذو رُعَين بن عبد كلال[4] أنَّ فيروز محصور بثات . فأرسل مئة فارس

---

(١) مضى تعريف ثات ص ٣٣٩ ح ٥ .

(٢) كذا الأصل والتاريخ ، ولم أقف على ضبطه .

(٣) نان كرمه : خبز حار . سنبدام كندره : اسم طير يعيش على المياه . ماهيه تازه : سمك طازج . (المعجم الذهبي) .

(٤) كذا في الأصل والتاريخ (س) ، وفي (د) : « كلاب » .

لينصروه . وأخذ فيروز نَحْوَ جَنَان[1] يريد إلى أخته . فأبصر خيلَ ذي رُعين مقبلة ، والعَنْسِيُّون خلفه ، فلما أبصر هؤلاء هؤلاء وقد كانتا[2] رجلاه تقطّعتا ، فلما أبصرهم ركب فرسه فرمى به إلى الذين بين يديه وهو يظنُّ أنهم يقاتلونه فقالوا : إنما أرسلَنا ذو رُعين لننصرك ، فوقف معهم ، فلما أبصرهم العَنْسِيُّون رجعوا . وسار فيروز حتى نزل عند أخته .

فلما تُوفي سيِّدُنا رسولُ الله ﷺ بعث أبو بكر أبان بن سعيد القرشي إلى اليمن فكلمه فيروز في دم داذويه فقال : إن قيساً قتل عمي غدراً على غدائه ، وقد كان دخل في الإسلام وشارك في قتل الكذّاب . فأرسل أبان إلى قيس [١٤٦/ب] يَعْلَى بن أمية إلى ثات ـ وكان يعلى من صحابة أبان ـ فقال أبان ليعلى : اذْهَبْ إلى قيس فقل : أجبْ أبان بن سعيد ، فإنْ تردَّد عليك فاضربْهُ بسيفك . فقدم عليه يعلى على بغلة والبغال لاتُرى باليمن يومئذ ، وعند قيسٍ الدنيا مما أخذ من الأموال التي للناس . فقال له يعلى : أجبِ الأمير أبانَ بن سعيد وانظر إلى هذا السيف ، فقال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا يعلى بنُ أمية ، ثم من بني حنظلةَ من بني تميم . فقال له قيس : أنت ابن عمي فأخبرْني لِمَ أرسل إلي ؟ وأرغبه ، فقال : إنَّ ابن الدَّيْلمي كلَّم فيك أنك قتلتَ عمَّهُ رجلاً مسلماً غَدْراً على غدائك . فقال قيس : ما كان مسلماً لا هو ولا أنا ، وكنتُ طالبَ ذَحْل قد قتل أُمّي وقتل عمي عبيدة ، وقتل أخي الأسود ؛ ولكن أدخلني على حين غفلةٍ من أهل صنعاء واجْعَلْني على بغلتك فأتنقَّبَ عليها ، واركبْ أنتَ على راحلتي واكشف عن وجهك حتى تدخلني على الأمير فتمكِّنَني منه أربعَ كلمات وقد خلاكَ ذَمّ . فدخل به حين اشتدَّ حرُّ النهار وغفل الناس ، والناسُ يومئذٍ قليل ، فدخل على أبان فقال : أجئت بالرجل ؟ فقال : نعم ، جئتُك بسيِّد أهل اليمن ، فقال أبانُ لقيس : أقتلتَ رجلاً قد دخل في الإسلام وشارك في دم الكذّاب ؟! فقال : قد قدرتَ أيُّها الأمير فاسمَعْ مني : أمَّا الإسلام فلم يُسلم لا هو ولا أنا ، وكنتُ رجلاً طالبَ ذَحْل ، وأمَّا فرس باذان الأعصم ، وسيف ابن الصباح الوجيه فأهديه لك ، وأمَّا الإسلام فتقبل مني أبايعك عليه ، وأمَّا أختي كبشة فأزوِّجُكَ معشوقةً من المعشوقات ؛ وأمَّا يميني هذه فهي لك بكل حدثٍ يُحدثه إنسانٌ من مَذْحِج . قال : قد قبلنا منك ؛ فأمرَ أبانُ المؤذِّن أنْ يؤذِّنَ بالصلاة ، وذاك قبل نصف النهار ، ففزع الناس وقالوا : إنَّ هذا لَحدَث ! فبلغ فيروزَ أنه

(١) جنان : واد بنجد . انظر معجم البلدان ١٦٧/٢ .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د) و (س) على لغة « أكلوني البراغيث » .

قد نادى ، فعجب فقال : ما بالُ هذا !؟ فقالوا : إنه قد أُتي بقيس ؛ فخرج فيروز [١٤٧/آ] فلبس سلاحه وتوشَّح بسيفه ؛ فخرج أبان يُقاوِدُ قيساً[1] ، فقال قيس لفيروز : كيف أنت يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة إلى الأمير ؟ فقال فيروز : نعم ، حاجتي أنْ أضربَ عنقك ! فصلَّى أبانُ بالناس صلاةً خفيفةً ثم خطب فقال : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد وضع كلَّ دمٍ كان في الجاهليَّة ، فمَنْ أحدث في الإسلام حدثاً أخذناهُ به . ثم جلس فقال : يا بن الديلميّ ! تعال خاصِمْ صاحبَك ؛ فاختصما فقال أبان : هذا دَمٌ قد وضعَهُ رسولُ الله ﷺ فلا تتكلَّمْ فيه . فقال أبانُ لقيس : الْحَقْ بأمير المؤمنين - يعني عمر بن الخطاب - وأنا أكتبُ لك أني قد قضيتُ بينكما ، فإني أرى قوماً ليسوا بتاركيك . فكتب إلى عمر أن فيروزاً[2] وقيساً اختصما عندي في دم داذويه ، فأقام قيسٌ البيِّنة أنه كان في الجاهليَّة ، فقضيتُ بينهما .

وخرج قيس فاتبعه فيروز حتى خاصمه عند عمر في دم داذويه ، فأخرج قيس كتابَ أبان إلى عمر ، فقال عمر : قد تولَّى أبان برَّ هذا وإثْمَه ، والله أعلم بما قضى ، ولو يُردُّ مثل هذا يا بن الديلمي لم يجُزْ بين الناس قضاء . فقال فيروز : فإني قد بعتُ نفسي وهاجرت . فقال عمر : أعزمُ عليك إلاَّ رجعتَ إلى اليمن ، فإنها لا تصلحُ إلاَّ بك ، فإنك في هجرة . قال : فسمع عمر قيساً يحدِّثُ رجلاً من قريش أنه هو الذي قتل الكذاب ، فدخل فيروز وقيس يكلِّمُ القرشي ، فقال : بلى قتله هذا الليث . ثم قال عمر لفيروز : كيف قتلتَ الكذاب ؟ قال : اللهُ قتله يا أمير المؤمنين . قال : نعم ولكنْ أخبِرْني . فقصَّ عليه القصَّة ، ورجع فيروز إلى اليمن .

كتب عمرُ بن الخطاب إلى فيروز الديلمي : أمَّا بعد ، فقد بلغني أنه شغلك أكْلُ النبات بالعسل ، فإذا أتاك كتابي هذا فاقْدَمْ على بركة الله ، فاغْزُ في سبيل الله . فقدم فيروز فاستأذن على عمر ، فأذِن له ، فزاحمَهُ قومٌ من قريش ، فرفع فيروزُ يدَهُ فلطم أنفَ القرشي فدخل القرشيُّ على عمر مُسْتَدمى [١٤٧/ب] فقال له عمر : من بك[3] ؟ قال : فيروز وهو على الباب . فأذِن لفيروزَ بالدخول ، فدخل ، فقال : ما هذا يا فيروز ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّا كنَّا حديثَ عَهْدٍ بمُلْك ، وإنك كتبتَ إليَّ ولم تكتبْ إليه ،

(١) أي يساوقه . التاج (قود) .

(٢) كذا الأصل بالتنوين .

(٣) كذا .

وأذِنْتَ لي بالدخول ولم تأذَنْ له ، فأراد أنْ يدخل في إذْني قبلي ، فكان مني ما قد أخبرك . قال عمر : القصاص ، قال فيروز : لابُدّ ؟ قال : لابُدّ . قال : فجثا فيروزُ على ركبتيه ، وقام الفتى ليقتصَّ منه ، فقال له عمر : على رسلك أيُّها الفتى حتى أُخبرَك بشيءٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ ذات غداة وهو يقول : قُتل الظُّيْلَمةُ الأَسْوَد العَنْسيُّ الكذاب ، قتله العبدُ الصالح فيروز الديلمي . أفتراك مقتصّاً منه بعد إذْ سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال الفتى : قد عفَوْتُ عنه بعد إذْ أخبرتني عن رسول الله ﷺ بهذا . فقال فيروزُ لعمر : أفترى هذا مخرجي ممّا صنعت ، إقراري له وعفوُهُ غير مُستَكْرَه ؟ قال : نعم . قال فيروز : فأُشهدك أنّ سيفي وفرسي وثلاثين ألفاً من مالي هِبَةٌ له ، قال : عفوتَ مأجوراً يا أخا قريش وأخذت مالاً .

توفي فيروز الديلمي سنة ثلاثٍ وخمسين .

١٣١ ـ الفيض بن الخَضِر بن أحمد ويقال الفيض بن محمد

أبو الحارث التميمي الطَّرَسُوسيّ الأَوْلاسي

أحد الزُّهّاد المشهورين ، من قدماء المشايخ وجِلّتهم .

قال أبو الحارث الأولاسي :

كنتُ في بعض مساجد دمشق جالساً ، فدخل فقير عليه خُلْقان رَثَّة ، فركع وجلس ، فدنوتُ منه وسلَّمتُ عليه ، وكان معي قطيعة فذهبتُ فاشتريتُ بها عنباً وطرحتُه في زاوية المسجد فقلت له عند المغرب : تأكلُ من هذا العنب ؟ فقال : دَعْهُ الساعة . فما زال يركع إلى عشاء الآخرة فلما صلى عشاء الآخرة قلت له : [١٤٨/آ] تأكلُ من هذا العنب ؟ قال : وتحبُّ ذلك ؟ قلت : نعم . فأكل حبات ثم قال : أين تريد ؟ قلت : الرَّمْلَة . فقال : وتحبُّ أنْ نكون جميعاً ؟ قلت : نعم . قال : فما زال عامَّة الليل يركع ، ثم التفت إليَّ وقال : قُمْ إنْ شئت . فقمتُ معه ، وخرجنا من دمشق ، وسرنا ساعة ، وإذا بسُرُجٍ وبيوت ، ونحن نسير بين أحمال تبن ، فقلتُ لبعض من يسير معنا : أيْشٍ[1] هذه السُّرُج والبيوت ؟ فقال : أيش حالك هذه الرملة ! فالتفتُّ أطلب صاحبي فلم أرَه .

(١) انظر ص ٢٠٠ ح ١ من هذا الجزء .

قال الزَّعفراني :

قلت لأبي الحارث الأُولاسي : أنا أعرفك أمير الحرب بنَصيبين ، فأيش الذي أخرجك إلى الله ؟ قال : غدوتُ في آخر الليل إلى الحمام وكان على باب داري ، فإذا أنا بأنين في القامين[1] ، فعدلت فإذا برجلٍ عليل ، مطروح في الزبْل عُرْيان ، فقلت له : لك حاجة ؟ فقال لي : أريد يُنزال ماعليَّ من وسَخ ، وثوب نظيف[2] ، ورائحة طيبة ، وطعام طيّب[2] . فقلت : هات يدك ؛ فأدخلتُه معي الحمام فنظّفته وتقلدتُ أنا خدمتَه ، وأخرجتُه إلى ثوبٍ من ثيابي ، وأحضرتُ طعاماً طيباً ، وطيَّبْتُه وقلت : لك من حاجة ؟ فقال لي : جبرك الله . ومات ، فكفّنْتُه ودفنته ، فلما كان العصر خرجت إلى الله في عباءة .

قال أبو الحارث :

رأيتُ في منامي كأني واقفٌ بين يدي الله ، فقال لي : يا عبدي سَلْ حاجتَك ، فقلت : يا رب ! تعلم حاجتي . فقال : أنا أعلم ، وكيف لاأعلم وأنا كوَّنتها وكمنتُها في صدرك ؟! ولكن أحبُّ أن أُسأل ، والمسارعة في اتباع محبتي منك أولى بك من التعلق بمحبتك ، أسرعُ وأسبق منك إليَّ أن بدأتُ تركيبها في قلبك من قبل أن تعقلها ، وأطلقتُ لسانك بمسألتها عندي ، اجْمَعْ بين مرادي من الأمور كلِّها وبين مرادك مني ، فإنْ يكنْ مخالفاً لمرادي فإنك لن تزال في دهرك منقطعاً عني ، فابتغِ عندي مَحَابِّي من الأمور وإنْ خالف منك المحبة ، أجهدْ بدنك ، واحذرِ الخلاف في اتباع الهوى بحبِّ دارٍ أبغضتُها وحذَّرْتُكها [١٤٨/ب] وأخرجْ قلبك منها ، وكنْ فيها حَذِراً ، فإنَّ متاعَها قليل ، والعيشُ فيها قصير ، وتقرَّبْ إليَّ ببُغْضها وبُغض أهلها ، وكن متحرِّزاً منها ومن أهلها ، وقف بين يدَيَّ مُقامَ مَنْ أسقط نفسَهُ وحيلَتَه وتعلَّقَ بمالكِه .

قال أبو الحارث :

رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم كأنه معرضٌ عني فقلت : ماأعرضك عني ؟ بأبي وأمي ، فقد فهمتُ عنك ماأمرتني ولكن أخافُ أنْ أكونَ قد حُرمت التوفيق . فقال : لا ولكن ليس ثم داعية يحرِّككَ لطلب ، ولا رَهْبة تقلقك لهرب ، فأنت بين الآمال الكاذبة متردِّدٌ حيران قد

---

(١) القامين : القمين ، وهو أتون الحمام .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د ، س) ، والوجه النصب .

أطَلْتَ الأمل وسوَّفْتَ العمل . قلت : فمِن الآن فأوصني ، فقال : عليك بالقِلّة ، ووانِ شخصك ، وكنْ حِلْساً من أحْلاَسِ بيتك ، فقد أمسى وأصبح كثيرٌ من الناس في أمْرٍ مَرِيج[1] ، وإنك إنْ تَتَّبِعْ أهواءهم وتلتمسْ رضاهم يُضِلّك عن سبيل ربّك ، وهو الخُسْرانُ المبين .

قال أبو الحارث الأُوْلاسي :

رأيتُ في المنام كأني في صحراء ، بين جبال ، وكأنّ منادياً يُنادي : الباب الباب الباب - من وراء تلك الجبال - أيُّها الناس ! هلُمُّوا وأسرعوا فإنا نريدُ غَلْق البـاب . والنـاس فيما هم فيه من الشغل والضجّة ما يشعرون[2] بالنداء إلاّ نفَرٌ يسير ، خيل ورجّالـة ، فجعلوا يسعَوْن ويركضون نحو النداء ، وقيّض الله تعالى لي فرساً عربيّاً فركبتهُ ، وجعل يجري بي أشدّ جَرْيٍ وأنا أتخوَّفُ أنْ أسقـط منـه ، حتى أتى بي على وَحْلـة ، فخفتُ أنْ يقفَ بي في تلـك الوَحْلـة ، فجعل لا يزدادُ إلا شِدَّةَ الجري في ذلك الوَحل حتى خرج منه ، ثم إنه أتى بي إلى عَقَبةٍ صَعْبة ، فخفتُ أن يقـومَ فرسي ، فـا أزدادُ إلاّ سرعـة ، حتى عـلا بي[3] رأسَ العقبـة ، وأشرفْتُ على المنادي وكأنـه جـالسٌ على رأس العقبـة ، عليـه ثيـابٌ بيـاض ، مُنكّسٌ الرأس ، وهو يقرأ : ﴿ اقْتَرَبَ للناسِ [١٤٩/أ] حسابُهُمْ وهُمْ في غَفْلـةٍ مُعْرِضُون ﴾[4] وجعل ينكتُ الأرضَ كأنـه حزين ، فقلت : يا هذا ، ما لي أراك حزيناً ؟ فقال : أمَا ترى ما في الأرض ؟ فـاطلعتُ ، فرأيتُ سواداً متراكباً وضجّةً شديدة ، فقلت : ماهذا السواد وما هذه الضجّة ؟ فقـال : أمّـا السواد فهي الفتن ، وأمّا الضجّة فالهَرْج المَرْج ، قلت : رحمك الله فالمَخْرج من ذلك ؟ قـال : أربعة : لسانك ويديك وبطنك وفَرْجك ؛ فأمّا لسـانَـك فتمسكـه عن الكلام إلاّ من ثلاثـة : ذِكْرٌ دائم ، وردُّ سلام ، أو حاجةٌ لابُدَّ منها ؛ فأمّا يديك ، فتمسكها عمّا ليس لك فيه حقّ ، وتحذر المعاونة بها ؛ وأمّا بطنك فلا يدخله إلاّ الحلال ؛ وكذلك فَرْجك ، فإنْ لم تجدْ فـالقلّـة القلّـة ، كُلِ الـدُّون والْبَسِ الـدُّون . وأربعٌ ألاَ خُـذْ بهن : الحَزْم في زمـانـك ، لاتقـل لأحـد اذْهَبْ ، ولا قُمْ ، ولا كُـلْ ، ولا لاتـأكُـلْ ، ولا اعْمَـلْ ، ولا لاتعمـل ، ولا هـذا حـلال ، ولا هذا حرام . قلت : أمّا الصَّمْتُ فإني أُجهد نفسي فيه ، وأمّـا النـاس فـأعـاهـد الله على أن

(١) أمْر مريج : مضطرب قلق . وقوله : « كن حلساً ....» أي الزمه ولا تبرح . اللسان (مرج ، حلس) .

(٢) كذا الأصل والتاريخ (د) و (س) والوجه فيه : « ما يشعر » .

(٣) في الأصل : « علاني » وما أثبتُه من التاريخ (س) ١٥٣/١٤ أ .

(٤) الأنبياء ١/٢١

لا أقولَ شيئاً من ذلك إلاّ أنْ أكونَ ناسياً ؛ وأما القِلّة من المطعم واللّباس فإنه يصعب عليّ ، وأرجو أنْ يُعين اللهُ تعالى عليه . فجعل يقول : يصعبُ علي ! أفلا يصعبُ عليك طولُ القيام بين يدي الله وعُسْرُ الحساب ؟! أمْ والله لو اتقيت لصدقت ، ولو صدقت لاتَّقَيْت ، ولو اتقيت لخفت ، ولو خفتَ لحذِرْت ، ولو حذرت لجانبت . القلّةَ القلّة ، الخفَّةَ الخفَّة ، الصَّمْتَ الصمت ، الهرَبَ الهرب ، النَّجَاء النجاء ، الوَحاءَ الوَحاء[1] ، البابَ البابَ ، لِجُوا فيه قبل أنْ يُغلق دونكم ، فتحل بكم الندامة .

قال أبو الحارث :

منِ اشتغل بما لم يكنْ فكان ، فاتَهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ ولا يزال .

قال أبو الحارث :

كتب إليّ بعضُ إخواني : أيش تشتهي من هذه الدنيا ؟ فقلت : أشتهي وَجْهاً مُصْفرّاً ، وخدّاً مُعَفّراً ، ودمعاً مقطّراً [١٤٩/ب] وطِمْراً مشمّراً[2] ، وعيشاً مكدّراً ، وقلباً منوّراً كالقنديل يزهر ، وقُوتاً مُقَتّراً . قال : فكتب إليّ : يا أخي ما أحسن ما اشتهيت من هذه الدنيا ! ولكنْ ما أحسنَ الليلَ على الساجد ! والاتصالَ بالماجد ! والزهدَ على الزاهد أحسَنُ من الحَلْي على الناهِد . ثم قال : يا أخي احفظِ اللهَ في خفيِّ كُلِّ نظرة ، وفتِّشْ كلَّ لقمة ، وزِنْ كلَّ خطوة ، وانتخبِ الأحوال[3] ، وأحِبَّ كلَّ أخٍ صحيحِ المودَّة . ثم قال : يا أخي ، مَنْ عرف الله عاش ، ومَنْ أحبَّ الدنيا طاش ، والأحمق يغدو ويروح في لاش ، والعاقل لذنوبه فتّاش .

قال أبو الحارث :

دخلتُ مسجد طَرَسُوس[4] ، فرأيتُ فتيَيْنِ يتكلّمان في علم الأنفة[5] وسُوء أدَبِ الخَلْق ،

---

(١) الوحاء الوحاء : يعني الإسراع والعجلة . ويقال : الوَحَى الوَحَى ، بالقصر . اللسان (وحي) .

(٢) الطمر : الثوب الخلق البالي . اللسان (طمر) .

(٣) كذا في الأصل والتاريخ (د ، س) . قلتُ : لعل الصواب « الإخوان » .

(٤) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . انظر معجم البلدان ٢٨/٤ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ . وموقعها اليوم إلى الغرب من خليج الاسكندرونة في تركية .

(٥) كذا الأصل والتاريخ (د ، س) . قلتُ : لعل الصواب « الآفة » جاء في طبقات الصوفية ص ٢٤٦ أن أبا علي الحسن بن علي الجوزجاني تكلم في علوم الآفات والرياضات .

وحُسْن صنيعِ الله تعالى إليهم ، ويذمّانِ نفوسَهما فيما يجب لله تعالى عليهما ؛ فقال أحدُهما لصاحبه : ياأخي قد تحدّثنا في العلم ، فتعال حتى نعامل الله به ، فيكون لعلمنا فائدةٌ ومنفعة . فعزما على أن لا يتناولا شيئاً مسَّتْه أيدي بني آدم ولا ماللخليقة فيه صُنْع . قال أبو الحارث : فقلت وأنا معكما ، فقالا : إنْ شئت . فخرجنا من طَرَسُوس وجئنا إلى جبل لُكَام[1] ، فأقمنا فيه ماشاء الله تعالى . قال أبو الحارث : أمّا أنا فضَعُفَتْ نفسي وقام العلم بين عيني إنْ مُتُّ على ماأنا عليه مُتُّ ميتة الجاهلية . فتركتُ صاحبيَّ باللُّكَام سنةً ورجعتُ إلى طَرَسُوس ، ولزمتُ ماكنتُ أعرفُه من صلاح نفسي ، وأقام صاحبيَّ[2] باللُّكام سنةً ، فلما كان بعد مُدّة ، دخلتُ المسجد فإذا أنا بأحد الفتيين جالساً في المسجد ، فسلَّمْتُ عليه فقال : ياأبا الحارث خُنْتَ اللهَ تعالى في عهدك ولَمْ تفِ به ، أمَا إنَّك لو صبرتَ معنا أُعطيتَ ثلاثةَ أحوال ، وقد أُعطينا . قلت : وما الثلاثة ؟ قال : طيُّ الأرض ، والمشي على الماء ، والحَجْبة إذا أردنا . واحتجب عني عَقِيب كلامه ، فقلت : بالذي أوصلك إلى ماقد رأيت إلاّ ظهرتَ لي حتى أسألك عن مسألة ؛ فظهر لي وقال : سَلْ وأوجز ، فقلت له : كيف [١٥٠/آ] لي بالرجوع إلى هذه الحالة ؟ تُرى إنْ رجعت قُبلت ؟ فقال : هيهات ياأبا الحارث ، بعد الخيانة لاتُقبل الأمانة فكوى قلبي بكيّه ، لا يخرج من قلبي حتى ألقى اللهَ عزّ وجلّ .

قال أبو الحارث :

رأيتُ إبليس في المنام على بعض سطوح أوْلاس[3] وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة ، وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفةٍ منهم : قولوا ، فقالوا وغنّوا ، فاستفزّني طيبه حتى تيمّمْتُ أن أطرح نفسي من السطح ، ثم قال : ارقصوا ، فرقصوا أطيب ما يكون ، ثم قال لي : ياأبا الحارث ، ماأصبتَ شيئاً أدخل به عليكم إلاّ هذا .

---

(١) اللكام : هو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والصيصة وطرسوس . انظر معجم البلدان ٢٢/٥ وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٢ . ويسمى اليوم بـ « أنتي طوروس » في تركية .

(٢) كذا الأصل ، والوجه « صاحباي » .

(٣) أولاس : حصن على ساحل بحر الشام (الأبيض المتوسط) من نواحي طرسوس . انظر معجم البلدان ٢٨٢/١ .

وقال أبو الحارث :

مكثتُ ثلاثين سنة ما يسمعُ لساني إلاَّ من سِرِّي ، ثم تغيَّرتِ الحال ، فمكثتُ ثلاثين سنة لا يسمع سرِّي إلاَّ من ربِّي .

وقال أبو الحارث :

رأيتُ إبليس له جُمَّةُ شعر ، وعلى حلقه شعر مثل شعر الكلب ، فأقبلتُ عليه أتلقَّفه وأقول له : ويحك ! مَنْ أنا في هذا الخلق ؟ خلِّني وربِّي لاتعترضْ فيما بيني وبين ربِّي ، فقال : هيهات هيهات ، كيف أُخلِّيك ، وفيك وفي أبيك هلَكْتُ ! لا ، أو تهلكوا معي[1] ، فأخذتُ برأسه فجعلته على حجر ، وأخذتُ بحلقه أخنقه ثم قلت : كيف أقدر على قتله وقد أخَّره الله إلى يوم القيامة ، ولكنْ أرفق به ، فجعلتُ أتلقَّفُه وهو يأبى ، فقلت له : دُلَّني على ما ينفعني ، فقال : أدلُّكَ على السُّكَّر الطَّبَرْزَذ بالرَّانج ، وتُمْرِ بَرْني والأزاذِ بالزُّبْد[2] ، وأدلُّك على الجُبْن الرَّطْب ، والمعقود والبط ، والحُمْلان ، والجوذابات[3] ، وأدلُّكَ على الدراهم والدنانير أنْ تكثر منها . فقلت له : يا ملعون ! أنا أسألك تدلُّني على شيءٍ ينفعُني في أمر آخرتي تدلُّني على الدنيا ! وما أصنَعُ أنا بهذا وما حاجتي إليه ؟ فقال : من هاهنا صار رأسي وحَلقي في يدك تقلِّبُه كيف شئت وتلعب به . قلت : قد أفدْتَني علماً لاجرم إني لأرجو أنْ لاأنالَ منها شيئاً إلاَّ ما لاغَنَاء بي عنه . فقال : إنْ تركتُك فاصعد العقبة . قلت : فأين اللهُ عزَّ وجلَّ ؟ [١٥٠/ب] قال : في السماء وهو الذي سلَّطني عليك ، فبه قويتُ عليك وعلى غيرك ، وأمَّا أنت فأستعينُ الله عليك بولدِ جنسك الذي زيَّنتُ في أعينهم ماقبَّحَ في عينك ، فأجابوني إليه ، فبهم أستعينُ عليك فيأتونك من مَأْمَنك .

تُوفي أبو الحارث الأَوْلاسي الفَيْضُ بطَرَسُوس ، سنة سبعٍ وتسعين ومئتين .

---

(١) في الأصل : « مني » وما أثبتُّه من التاريخ (د ، س) .

(٢) الطبرزذ : السكر ، فارسي معرب ، وأصله تبرزذ كأنه نحت من نواحيه بالفأس . والرَّانج : الجوز الهندي (النارجيل) وقيل نوع من التمر أملس . والبَرْني والأزاذ : نوعان من التمر . التاج (طبرزذ ، رنج ، برن ، أزذ) والمُغْرب (رنج) .

(٣) الجوذابات ، جمع جُوذَاب ، بالضم : طعام يُتخذ ـ أي يصنع ـ من سُكَّر ورُزّ ولحم . التاج (جذب) .

١٣٢ ـ الفَيْض بن محمد الثقفي

عن ابن شهاب

في رجلٍ حلَّفه السلطان بالسلطان ، فسأله عن أمرٍ يخاف فيه على نفسه القتل ، فيحلف مافعل ، وقد فعل ذلك الأمر ؟ قال : يجوزُ عليه الطلاق ، قد قضى عمرُ بن عبد العزيز في الفيض بن محمد الثقفي في امرأته ابنة النعمان بن بشير ، فرَّق بينهما عمر حين حلف الفَيْض لابن المُهَلَّب وهو يعذِّبه ليؤدِّيَنَّ إليه المال إلى أجلٍ قد سمَّاه ، فلم يؤدِّهِ إليه . قال عمر : ماأنا براجعها إليك بعد أنْ طلَّقتها . ثم أتى يزيدَ بن عبدِ الملك في ذلك ، فحكم فيه بحُكْمِ عمرَ بن عبد العزيز .

١٣٣ ـ الفَيْض بن محمد بن الفيَّاض الغسَّاني

قال الفيض :

رأيتُ يحيى بن حمزة الحضرمي وهو جالسٌ في مجلس القضاء عند الدَّرَج ، درج المسجد ، وهو يكتب مَحْضراً ، ومنادٍ على الدرج ينادي على متاع : عشرين ودانق ، عشرين ودانق ، فاشتغل ، قلت : يحيى ! فكتب : عشرين ودانق عشرين ودانق ، في سطرين ، ثم استفاق ، فقام إليه فأخذ بأذنيه ، فجعل يعركها ويقول له : عشرين ودانق عشرين ودانق وذاك يضج[1] ثم خلاَّه .

قال : فما ينبغي لأحدٍ أنْ يُحدِّث إنساناً وهو يكتب ، فيدهشه عن كتابه فيغلط .

---

(١) ضجَّ : صاح مستغيثاً . اللسان (ضجج) .